01-content-3-2021.qxp_Layout 1 9/29/21 8:28 PM Page 1

المحتويات

النور

العدد الثالث السنة السابعة والسبعون ٢٠٢١

تصدرها حركة الشبيبة الأرثوذكسيّة

صاحب الامتياز:
حركة الشبيبة الأرثوذكسيّة

المدير المسؤول
الأب يونس (يونس)

رئيس التحرير
الأب ميخائيل (الدبس)

هيئة التحرير
لولو صيبعة
غسّان الحاجّ عبيد
د. جورج معلولي

المدير الإداريّ
فؤاد الصوري

مسؤول التوزيع
نبيل زغيب

الإدارة:
هاتف: ٠١/٣٣٤٦٣٢
٠٣/٦٠٣٧٨٣
٠٣/٧٦٠٨٦٣

الاشتراك السنويّ
٣٠٠٠٠ ليرة لبنانيّة

بريد إلكتروني
alnour_58@yahoo.com
صفحة إلكترونيّة
www.mjoa.org

١١٤-١١٥ الافتتاحيّة
لا تخف أيّها القطيع الصغير
نقولا أبو مراد

١١٦-١١٨ صفحات أنطاكيّة
المطران جراسيموس (مسرّة)
والكاثوليك القدماء في بريطانيا
الأب متري (جرداق)

١١٩-١٢٢ دراسة كتابيّة
يسوع أمام قيافا
والمجلس اليهوديّ
الأب ميخائيل (الدبس)

١٢٣-١٢٥ الإيمان على دروب العصر
ضحايا العنف
د. جورج معلولي

١٢٦-١٢٩ أديان
الكلمة في الديانات غير المسيحيّة
شيرين رزق

١٣٠-١٣٢ مسكونيّات
في خدمة الشركة
وثيقة أرثوذكسيّة-كاثوليكيّة جديدة
أسعد إلياس قطّان

١٣٣-١٣٦ تأمّل
تأمّل في زمن الكورونا (٣)
فريدا حدّاد عبس

١٣٧-١٤٦ تحقيق
بيروت المحروسة باللّه
لولو صيبعة

١٤٧-١٥٠ من زوايا التاريخ
المدارس المسكوبيّة
د. إسكندر الكفوري

١٥١-١٥٤ دراسة كتابيّة
النحل والعسل في المسيحيّة
ندى وازن صبحيّة

١٥٥-١٥٦ خاطرة
الشروق
الشمّاس بول (نقولا)

١٥٧ خاطرة
«إنّي أمة الربّ...!!!» (لوقا ١: ٣٨)
حسن بازي

١٥٨-١٦٠ خاطرة
تسمية الطفل في المعموديّة
طوني عبده

١٦١-١٦٣ إيضاحات ليتورجيّة
فَلْنَقف، وإلى الربّ فلنطلبْ:
يا ربّ ارحم
ميكال ساسين

١٦٤ إصدارات

الأخبار

١٦٥ روسيا:
دير القدّيس ألكسندر نفسكي

١٦٥-١٦٦ بويرتوريكو:
كنيسة سيّدة البشارة

١٦٦ الولايات المتّحدة الأميركيّة:
كنيسة القدّيس نيقولاوس

١٦٧ العراق:
انتخاب بطريرك جديد للكنيسة الآشوريّة

١٦٧-١٦٨ تركيا:
كنيسة الثالوث القدّوس

١٦٨ إيطاليا:
معموديّة أكثر من مئة ألف طفل

١٦٨ أوكرانيا:
احتفال بذكرى معموديّة الروس

02-Nicola abou mrad-3-2021.qxp_Layout 1 9/29/21 8:28 PM Page 114

لا تخف أيّها القطيع الصغير

نقولا
أبو مراد

أمام المحنة التي نعيشها اليوم في بلادنا، من الحرب الضروس التي زعزت سورية والعراق، إلى الأزمة الحادّة التي تعصف بلبنان منذ سنتين، مرورًا بنكبة فلسطين، لا يسعنا إلاّ أن نتفكّر بقول الربّ، «لا تخف أيّها القطيع الصغير» (لوقا ١٢: ٣٢)، ونستلهم منه ما يحثّنا على الاستمرار في الشهادة، وأن نستنبط من عمق هذه الدعوة والإيمان الذي ترتكز عليه، معنى أن نكون رعيّة ورعاة وأبعاده.

أوّل ما يتبادر إلى ذهني في هذا الخصوص، أنّ كنيسة المسيح ليست لتوجد، فقط، في أزمنة الرخاء والطمأنينة وراحة البال. فالربّ، حين دعا مَن صاروا له تلاميذ، لم يوهمهم بالرفاهية، بل صارحهم بقوله، «إن كانوا اضطهدوني فسيضطهدونكم» (يوحنّا ١٥: ٢٠). ولعلّ قول الربّ هذا يبيّن طبيعة كنيسته في عمق وجودها، والأساس الذي تستند إليه. هذه حقيقة، ليست فقط على مستوى الواقع، ولكن أيضًا على مستوى الدعوة.

وإذا كان الاضطهاد، أي أن تكون مطارَدًا لأجل إيمانك وقناعاتك، ومهدّدًا في حياتك كشاهد للمسيح، هو التحدّي الذي وضعه الربّ يسوع أمام عينيك، حين قبلت الدعوة، فكم بالحريّ حين يكون عليك، كمسيحيّ أيضًا، أن تتشارك وأهل وطنك أو منطقتك، إلى أيّ دين انتموا، تحدّيات الحياة، لا سيّما في الأوضاع التي أشرنا إليها أعلاه. فأنت، أكنت تعيش محنة لبنان الاقتصاديّة والسياسيّة، أم ما يكابده أهل سورية والعراق من عواقب الحروب والنزاعات، أم كنت مرميًّا في مجهول الوجود، ولامبالاة الدول بك، كما في فلسطين، أنت تبقى أمينًا في مسيحيّتك، متشبّثًا بحقّ الوجود والحياة والشهادة، ونابذًا أشكال الضعف والخوف، ومتسلّحًا بالبرّ والخلاص والثقة باللّه التي لا معنى لإيماننا المسيحيّ من دونها.

دعوة المسيح لك «ألاّ تخاف»، لا تعني، فقط، أن ترضخ للواقع، بل أن تقوم بكلّ ما في وسعك، أرعيّة كنت أم راعيًا، لمواجهة أسباب الخوف، لعلّك، في سعيك، تأخذ نفسك والآخرين، إلى شيء من الاطمئنان، وإلى قبس من قول المرنّم، «الربّ يرعاني فلا شيء يعوزني... إلى مياه الراحة يوردني» (مزمور ٢٣). ولذا، لا يمكن فهم الخطاب التشاؤميّ أمام الأزمات، مهما كان وزرها ثقيلاً، إن أتى من مسيحيّ ملتزم، فيما المطلوب أن يتعلّم المرء كيف ينتقل من

02-Nicola abou mrad-3-2021.qxp_Layout 1 9/29/21 8:28 PM Page 115

لا تخف أيّها القطيع الصغير

نقولا أبو مراد

الألم إلى الأمل، وكيف يحوّل الضيقات إلى نافذة للرجاء، والرجاء ركن من أركان الوجود والمسعى المسيحيّين.

وأشدّ ما يقلق، في هذا الشأن، أن يأتي الخطاب التشاؤميّ من الذين خاطبهم الربّ بقوله، «إن كنت تحبّني، إرعَ خرافي». ففي طبيعة الأشياء أنّ الراعي لا يهمل القطيع، إذا ما ألمّ به ضيق، ويمضي ليخلّص نفسه، بل «يبقى أمينًا إلى الموت»، إذ بهذا، فقط، إذا ما ثبت، ينال إكليل الحياة، كما يقول «صوت الربّ» لأسقف سميرنا، في رؤيا يوحنّا (رؤيا ٢: ١٠). ولذلك، يؤلمك أن تسمع، هنا وثمّة، أنّ كاهنًا، مثلاً، يفكّر في الهجرة طلبًا لحياة فضلى. أفهم أنّه يحقّ لك أن تمضي إلى حيث تشاء، وأن يسعى المرء إلى تأمين ظروف حياة فضلى لذويه. هذه حال الدنيا. ولكن، لا أفهم بسهولة، رزوحَ بعض الرعاة أمام الأثقال والضيقات، فيما الحريّ بهم أن يثبتوا في «المحبّة والخدمة والإيمان والصبر». فالكنيسة ليست شركة تعمل فيها، وما هي بمنظومة من هذا العالم، بل دعوة لك وإليك بأن «تصبر إلى المنتهى»، متسلّحًا بالرجاء، راعيًا ومرعيًّا حيث شاءك الربّ أن تكون.

الضيقة الاقتصاديّة، ومحن الحياة، والحروب، والأمراض، والأوبئة، هي جزء من حقيقة هذا العالم الفاني الذي ننتمي إليه، والحقيقة أنّ الدعوة المسيحيّة أتت جوابًا عن هذا كلّه لتكون صراطًا في الرجاء والصبر، وفي الحثّ على أن يعمّ السلام الحقيقيّ، وينعم الناس بخيرات الأرض كلّهم معًا. غير أنّ المنطلق، للمسيحيّ، يبقى دومًا الضيقُ، ذلك بأنّ الضيق رحم يولّد الإيمانَ والثبات والرجاء، تمامًا كما أولد اللّه الأرض الحسنة من الخراب، وأقام الحياة من القبور، وهذا عبّر عنه رسول الأمم حين كتب، «مبارك اللّه... الذي يعزّينا في كلّ ضيقتنا، حتّى نستطيع أن نعزّي الذين هم في كلّ ضيقة بالتعزية التي نتعزّى بها نحن من اللّه. لأنّه كما تكثر آلام المسيح فينا، كذلك تكثر أيضًا تعزيتنا» (٢كورنثوس ١: ٣-٥).

حين كتب بولس الرسول هذا الكلام في مطلع رسالته الثانية إلى أهل كورنثوس ليثبّتهم في الإيمان الحقيقيّ أمام كلّ المحن، أرادَ ألّا يكون المؤمنون «حطامًا مجتمعيًّا» تتقاذفه أمواج الوجود العاتية، فيتفرّق الناس وينكسرون ويمضي كلّ في سبيله، بل شاءهم قطيعًا للربّ يرعى في «المراعي الخضر» و«يرد مياه الراحة»، إن هو ألقى همّه على ربّه، ورضيه له وكيلاً، وسمع قوله، «لا تخف أيّها القطيع الصغير»، وأَلِفَ صوته، وتعزّى به إلى المنتهى. ■

03-Metri Jourdak-3-2021.qxp_Layout 1 9/29/21 9:09 PM Page 116

المطران جراسيموس (مسرّة) والكاثوليك القدماء في بريطانيا

الأب ديمتري جرداق(١)

معروف أنّ الطائفة أو المذهب المسيحيّ السائد في بريطانيا هو المعتقد «الأنكليكانيّ»، أي أنّه خليط من العقائد والممارسات الكاثوليكيّة والبروتستانتيّة الدينيّة. هذا المذهب مسؤول عنه أسقف يدعى «أسقف كانتربري»، الذي بدوره يخضع للتاج الملكيّ البريطانيّ. بمعنى آخر، الملك أو الملكة هما رأس الكنيسة «الأنكليكانيّة»، ويخضعان للسلطة الملكيّة وينتميان إليها بكلّ شيء.

خلال العقد الأوّل ومطلع العقد الثاني من القرن العشرين، تحرّك الحسّ الدينيّ لدى بعض الانكليز الذين أخذوا تسمية «الكاثوليك القدماء»، وكان هؤلاء لا يخضعون لرئاسة «الفاتيكان» ولا لرئاسة «أسقف كانتربري»، وكانوا يتطلّعون إلى من ينتمون إليه دينيًّا ويتّحدون به، كائنًا من كان.

لم تكن أحوال أعضاء هذه الجماعة على ما يرام. هم يريدون أن يكونوا مستقلّين مكانيًّا ويحافظوا على العقيدة الكاثوليكيّة، والفاتيكان لا يقبل بهذا الأمر، والأنكليكان لا يقبلون بهم لأنّهم لا يقبلون الاتّحاد بهم وأن يبقوا في الوقت عينه على معتقدهم الكاثوليكيّ، ونتيجة ذلك أصبحوا بين قوّتين، قوّة دينيّة محلّيّة لا تقبلهم على حالهم، وقوّة خارجيّة لا تسمح لهم بالاستقلال الذاتيّ وأن يكونوا على عاتقها معًا. هذا الموقف خلق لهم اضطرابات دينيّة واجتماعيّة وخلافات مع كلتا الكرسيّين الروحيّين.

كان يترأس هذه المجموعة من الكاثوليك القدماء شخص يدعى «أرنولد هاريس ماثيو Arnold Harris Mathew» ولقبه «رئيس أساقفة الكاثوليك القدامى». كان قد التقى بالمطران جراسيموس (مسرّة) في أحد المؤتمرات وفاتحه بالانضمام هو وكلّ المجموعة التي تتبعه إلى المعتقد الأرثوذكسيّ، وبخاصّة الكرسيّ الأنطاكيّ. كما كان مستعدًّا لأن يضع كامل ممتلكات هذه المجموعة بتصرّف البطريركيّة شرط أن ينضوي تحت جناحها.

رحّب المطران جراسيموس (مسرّة) بالفكرة، لكنّه أجاب «بأنّ الأمر لا يتعلّق به شخصيًّا، إنّما بالرئاسة الروحيّة الأنطاكيّة، أي غبطة البطريرك غريغوريوس الرابع (حدّاد)، والبطريرك بدوره سيطرح الموضوع على المجمع المقدّس في جلسة رسميّة، ولا يمكن

١- كاهن رعيّة سيّدة البشارة في رأس المتن ورعيّة أرصون، وأستاذ التاريخ الحديث والمعاصر في الجامعة اللبنانيّة.

03-Metri Jourdak-3-2021.qxp_Layout 1 9/29/21 9:09 PM Page 117

المطران جراسيموس (مسرّة) والكاثوليك القدماء في بريطانيا

الأب متري جردك

الاستجابة لطلبهم على وجه السرعة كما يعتقد هو، لأنّ هناك ترتيبات إداريّة ودراسات جدّيّة ومعمّقة لهذا الأمر،

لكنّ السيّد ماثيو كان على عجلة من أمره، «لغاية في نفس يعقوب».

سوف أنقل في هذه المقالة ما ورد في مذكّرات المطران جراسيموس (مسرّة) التي تعود إلى الأعوام ١٩١٠ – ١٩١٢.

المراسلة

كانت المراسلات بين المطران جراسيموس والسيّد «أرنولد» تجري باللغة الفرنسيّة، وكان المطران جراسيموس ينقلها إلى العربيّة للتسجيل، وينقلها بدوره إلى غبطة البطريرك باللغة العربيّة. سأكتفي بنقل رسالة واحدة بنصّيها (الفرنسيّ والعربيّ)، لجدّيّة العمل التأريخيّ.

Le ٥ Aout ١٩١١
(Monseigneur
Arnold Harris Mathew
-Archevèque de l’église dite Anci
enne Catholique en Angletère , Earl
de Landaff
Monseigeur collègue et Frère en
Jésus Christ
Les bras ouverts dans l’amour du
Seigneur, je vous reçois parmis nous
et j’accepte votre serment de fidélité à
sa Béatitude de Patriarche Orthodox
-et son saint Synod d’Antioche car ja
-mais eux qui ont notre foi et qui de
mandent de s’unir à nous.
Priant Dieu de vous bénir vous et
tous ceux qui nous viennent avec
vous , nous vous Monseigneur
bénissons au nom de sa Béatitude
-le Patriarche et le Saint Synod d’Anti
oche .
Votre Collègue et Frère en Jésus
Christ
Prince Archevèque et Métropolite
Orthodoxe de Beyrouth)

03-Metri Jourdak-3-2021.qxp_Layout 1 9/29/21 9:09 PM Page 118

كتب المطران جراسيموس تعريب هذه الرسالة في السجل ذاته وسأوردها كما كتبت للأمانة؛

(إلى السيّد أرنولد هاريس ماثيو

رئيس أساقفة الكنيسة الكاثوليكيّة القديمة

كونت لنداف

سيادة الزميل والأخّ في الربّ

بساعدين مفتوحتين في حبّ الربّ، أقبلكم بيننا وأقبل يمين الأمانة الذي حلفتموه لغبطة البطريرك والمجمع الأرثوذكسيّ الأنطاكيّ المقدّس، لأنّ جميع الذين يؤمنون إيماننا ويطلبون الانضمام إلينا لا يمنعون أصلاً عن الاتّحاد معنا. هذا ونطلب إلى اللّه تعالى أن يبارككم أنتم وجميع الذين يأتون معكم، ونحن أيضًا باسم غبطة البطريرك والمجمع الأنطاكيّ المقدّس نباركم.

الداعي زميلكم وأخوكم بالمسيح جيراسيموس

تحريرًا في نادي «منور هاوس في بريدونس نورتن».

لم تشر المراسلات بين المطران جراسيموس والسيّد «أرنولد» إلى أيّ وعد بالانضمام، أو تحديد موعد لهذا الأمر، بل أظهر له كلّ تفهّم ومحبّة، لكنّ الموضوع بحاجة إلى موافقة المجمع المقدّس الأنطاكيّ، رغم تدخّل سيّدة ألمانيّة «أميرة» لدى المطران لقبولهم وعرضها إغراءات مادّيّة كثيرة، فكان لها الجواب ذاته.

بعد أشهر عدّة، تلقّى المطران جراسيموس كتابًا من السيّد «أرنولد» يعاتبه فيه على التأخير بالردّ، فأحال المطران الكتاب إلى غبطة البطريرك الذي طرحه في المجمع لدرسه وللعرض فقط.

إزاء تكرار المراسلات من إنكلترا بخصوص الردّ، لم يوافق البطريرك غريغوريوس على طلب السيّد «أرنولد» ، بل اشترط عليه أن يخضع الجميع للقاءات تُشرح فيها العقيدة الأرثوذكسيّة، مع احترامهم لعقيدتهم الدينيّة. كما أنّ السيّد «أرنولد» رفض الخضوع لهذا الشرط لسبب بسيط وهو «أنّه رئيس أساقفة كاثوليكيّ» ولا يختلف إيمانه الكاثوليكيّ عن العقيدة الأرثوذكسيّة بأيّ شيء . عندها تقرّر قطع التواصل معهم. إنّ الإصرار الذي أظهره السيّد «أرنولد» بإعلان الانضمام إلى الكرسيّ الأنطاكيّ الأرثوذكسيّ، أثار الريبة في النفوس وبخاصّة لدى البطريرك ، لأنّه كان تصرّفًا غير مقبول ويثير الشكّ.■

زوروا موقعنا على الإنترنت

www.mjoa.org

وفيه أخبارنا ونشاطاتنا،
ويمكنكم أن تتصفّحوا مجلّة
النور على الموقع ذاته
أو اتّصلوا بنا على العنوان
التالي:
alnour_58@yahoo.com

04-Mikaeal debs-3-2021.qxp_Layout 1 9/29/21 8:31 PM Page 119

دراسة كتابيّة

يسوع أمام قيافا والمجلس اليهوديّ

الأب ميخائيل الدبّس

لماذا المحاكمة؟

«أيّها الإله الديّان، لمّا وقفتَ أمام قيافا وأسلموكَ إلى بيلاطس اضطربَتِ القوّات السماويّة من الخوف، حينئذٍ رُفعتَ على الخشبة بين لصّين وحُسبتَ مع الأثمة أيّها البريء من الإثم لتخلّص الإنسان، فيا أيّها الربّ الطويل الأناة المجد لك».

لمحاكمة يسوع دلالات لاهوتيّة مهمّة مرتبطة بنظرتنا إلى القوانين والنظم الوضعيّة التي خطّها البشر لخير الناس، والتي يمكن استخدامها ضدّ الخير والحقّ لمصلحة الباطل. كيف لنا أن نتصوّر خالق الكلّ ومنظّم الكون وضمير كلّ قانون، يحاكَم بواسطة قوانين وضعها المخلوق ليحاكم الخالق. هذا يقودنا إلى الإقرار بنسبيّة كلّ قانون بشريّ رغم وجهه الخيّر والإيجابيّ. كلّ نتاج بشريّ وُضع لخير البشر، إذا تفلّت من مصدره المطلق الذي هو اللّه، يتحوّل إلى أداة شرٍّ عوضًا من خير ومصدر ظلم عوضًا من عدل. وهكذا ندرك نسبيّة كلّ النواميس ومطلقيّة محبّة اللّه.

كما أنّ مطالعتنا أحداث المحاكمة تساعدنا على فهم الظروف التاريخيّة التي أحاطت بفعل يسوع المسيح الخلاصيّ، والتي تجعلنا ندرك عمق هذا الفعل وامتداداته في حياتنا على هذه الأرض، والتي دُعينا إلى جعلها أكثر توافقًا مع تدبير اللّه الخلاصيّ لتكون لنا الأرضُ معبر ارتقاءٍ إلى مُلك الربّ السماويّ.

لماذا اخترنا رواية إنجيل لوقا؟

اعتمدنا في مطالعتنا أحداث محاكمة يسوع رواية الإنجيليّ لوقا لسببَين:

١- تلاواتُ النصوص الإنجيليّة، بحسب لوقا، خلال الأسبوع العظيم، هي الأقلّ من بين مثيلاتها في الأناجيل الأخرى: خلال خدمة سحر الخميس العظيم يقرأ ٢٢: ١- ٣٩، وخلال خدمة الآلام المقدّسة وخدمة الساعة السادسة من الساعات الملوكيّة ليوم الجمعة العظيم يقرأ ٢٣: ٣٢- ٤٩. إضافة إلى بعض الآيات المدمجة مع التلاوات الإنجيليّة المطوّلة التي تقرأ في القدّاس الإلهيّ الخميس العظيم وفي غروب الجمعة العظيمة (٢٢، ٤٣- ٤٤ و٢٣: ٣٩- ٤٩). هذا يعني أنّ شعبنا غير مطّلع على أحداث الآلام حسب الإنجيليّ لوقا.

٢- يقدّم لنا لوقا عرضًا تاريخيًّا أكثر دقّة من باقي

04-Mikaeal debs-3-2021.qxp_Layout 1 9/29/21 8:31 PM Page 120

الإنجيليّين (لوقا ١: ٣- ٤). مع أنّ لوقا، شأنه شأن باقي الإنجيليّين لم يبغِ، كهدفٍ أوّل له في إنجيله، دقّةً تاريخيّةً بل تفسيرًا لاهوتيًّا لأحداث الخلاص بعامّة. على سبيل المثال لا الحصر نذكر:

- يردّ لوقا سبب مساهمة يهوذا، إلى جانب رؤساء اليهود، في اعتقال يسوع إلى نيّتهم في إلقاء القبض عليه منفردًا وبعيدًا عن الشعب «لأنّهم كانوا يخافون الشعب» (لوقا ٢٢: ٢)، ويهوذا، كتلميذ له، كان يعرف مكان إقامة يسوع بعيدًا عن الشعب.

- انعقاد المجلس للمحاكمة جرى صباح يوم الجمعة وليس ليلاً كما هي الحال عند باقي الإنجيليّين (٢٢: ٦٦ - قابل مع متّى ٢٦: ٥٧- ٦٨ ومرقس ١٤: ٥٣ - ٦٥).

- في العشاء الأخير يذكر لوقا كأسَين (٢٢: ١٧ و٢٠)، وهذا ما يتوافق كلّيًّا مع ترتيب عشاء الفصح عند اليهود في زمن يسوع.

من هو قيافا؟

هو رئيس الكهنة زمن يسوع من العام ١٨م حتّى ٣٦م. رئيس الكهنة هو أعلى رتبة في الكهنوت اليهوديّ. كان المنصب وراثيًّا ومدى الحياة لكون متولّيه من أصل هارون. يجمع إضافة إلى السلطة الدينيّة سلطة سياسيّة، إذ يعتبَر رئيسُ الكهنة ممثّلاً للشعب اليهوديّ أمام السلطة السياسيّة المسيطرة عليه. تذكَر شروطُ تنصيبه في سفر العدد ٢٥: ٢- ١٣ وسفر اللاويّين الإصحاح ٢٠. إضافة إلى هذه الشروط ساهمت مواقف قيافا، المتذلّلة تجاه الرومان ولامبالاته لمصالح شعبه، في وصوله إلى سدّة رئاسة الكهنوت زمن يسوع. أدّى دورًا بارزًا وفاعلاً في مجمل الأحداث في ذلك الحين بما فيها أحداث محاكمة يسوع وصلبه. أمّا حنّان فلم يذكره لوقا ويُذكَر في إنجيل يوحنّا ١٨: ١٢- ١٣ و١٩- ٢٥ على أنّه حمو قيافا وسابقُه في منصب رئاسة الكهنوت، وأنّ يسوع مَثَلَ أوّلاً أمامه ثمّ أرسله مقيّدًا إلى صهره قيافا. كان اليهود يستشيرون حنّان في مجمل الأمور ويقفون عند رأيه.

ما المقصود بالمجلس؟

هو المجلس الكبير الذي يضمّ ممثّلين عن كلّ فئات الرئاسات اليهوديّة (من رؤساء كهنة حاليّين وسابقين، وصدّوقيّين وكتبة) والبالغ عددهم ٧١ عضوًا. يسمّى كبيرًا لتمييزه عن المجالس المحلّيّة وله صفة قضائيّة. خلال الحكم الرومانيّ لم يكن للمجلس الكبير الحقّ في إصدار أحكام بالموت على أحد. حكم كهذا كان يتطلّب مصادقة الحاكم الرومانيّ.

يسوع أمام المجمع (لوقا ٢٢، ٦٦ - ٧١)

تعتبر روايةُ لوقا حول محاكمة يسوع الأكثر

04-Mikaeal debs-3-2021.qxp_Layout 1 9/29/21 8:31 PM Page 121

اقتضابًا من باقي الإنجيليّين إذ يغيب عنها:

(أ) ذكرُ شهود الزور. (ب) حكمُ المجلس الصريح على يسوع بالموت. (ج) محاكمةُ يسوع في جلسة مسائيّة، إذ يذكر، بوضوح محاكمة صباحيّة بينما يذكر مرقس ومتّى تفاصيل المحاكمة الليليّة، ولا تُذكر عندهم المحاكمة الصباحيّة إلاّ بجملة مقتضبة (مرقس ١٥: ١ متّى ٢٧: ١- ٢). ربّما نحن أمام محاكمة واحدة بدأت ليلاً وانتهت صباحًا.

هنا لا بدّ من أن نذكر مرّة أخرى أنّ الإنجيليّين ليسوا مقرّرين أو مؤرّخين ونصوصهم هي شهادةٌ لإيمان الكنيسة الأولى، وهدفُهم من نقل أحداث المحاكمة هو (١) إظهار مجاهرة يسوع بصفته المسيانيّة أمام المجلس، صفةً تستّر عنها يسوع قبلاً لأسباب تربويّة. (٢) موقف الرئاسة الدينيّة اليهوديّة ضدّ يسوع بعد هذه المجاهرة. أمّا مسألة شرعيّة هذا المجمع أو عدم شرعيّته فهي لا تعنينا بشيء في مطالعتنا هذه النصوص. ما يعنينا هو إظهار إيمان الكنيسة بيسوع كمسيّا وبأنّ موته على الصليب كان فديةً لتحرير البشريّة من عبوديّتها للشيطان وللخطيئة.

الآيات ٦٦ - ٦٩

«عند الصباح اجتمع مجلس الشيوخ ورؤساء الكهنة والكتبة واستحضروه لدى مجلسهم وقالوا: إن كنت المسيح فقلْ لنا. قال لهم: لو قلت لكم لما آمنتم ولو سألتكم لما أجبتم. غير أنّ ابن الإنسان سيجلس من الآن عن يمين قدرة الّله».

صباحًا، يسأل أعضاء المجلس يسوع إن كان هو المسيح. يشمل جواب يسوع الأوّل عن هذا السؤال وجهَين، وجهًا تبريريًّا دفاعيًّا يبرّر فيه عدم جوابه، ووجهًا كتابيًّا مستقى من المزمور ١٠٩: ١، «قال الربّ لربّي اجلس عن يميني حتّى أجعل أعداءك موطئًا لقدمَيك»، ومن دانيال ٧، ١٣، «فإذا بمثل ابن البشر آتيًا على سحاب السماء، فبلغ إلى القديم الأيّام وقُرِّبَ أمامه». وعبر هذا الوجه الكتابيّ يجيب يسوع بطريقةٍ غير مباشرة وإيجابًا عن سؤالهم: «غير أنّ ابن الإنسان سيجلس عن يمين قدرة اللّه».

من اللافت أنّ يسوع في جوابه الأوّل الإيجابيّ وغير المباشر يستخدم لقب «ابن الإنسان»، مريدًا بذلك أن يصحّح النظرة اليهوديّة إلى الرجاء المسيّانيّ: هو بالتأكيد مسّيا ولكنّه ليس الزعيم السياسيّ على النمط اليهوديّ، بل هو ابنُ الإنسان المزمع أن يتألّم ويعود بمجدٍ ليدين الجميع. يربط الإنجيليّون هذا اللقب الخريستولوجيّ بالمسيح المتألّم وبالمسيح الديّان المنتظر في آخر الأزمنة. ومن مفارقات التاريخ العجيبة أنّ ديّان كلّ البشر يُدان بالصلب من قبل البشر (راجع ترانيم الجمعة العظيمة).

04-Mikaeal debs-3-2021.qxp_Layout 1 9/29/21 8:31 PM Page 122

الآيات ٦٦ - ٦٩

«فقالوا جميعًا: أأنت ابن اللَّه؟ فقال لهم: أنا هو كما تقولون. فقالوا أيّ حاجة بنا إلى الشهود؟ فقد سمعنا ما نطق به لسانُه».

يكرّر مجمل أعضاء المجلس السؤال على يسوع فيجيب إيجابًا، مباشرة وبوضوح. اللافت في تكرار السؤال استعمال أعضاء المجلس اللقب المسيّانيّ «ابن اللَّه» والذي لم يكن من الألقاب المسيانيّة السائدة حينها أو الواردة في العهد القديم. يمكننا تفسير ورود هذا اللقب في هذه الآية إمّا بسبب استخدام أعضاء المجلس التسمية التي تبنّاها أتباعُ يسوع «أنت هو المسيح ابن اللَّه الحيّ» (متّى ٤: ٣ و١٦: ١٦)، والتي كانت في نظر المجتمعين تجديفًا، إمّا بسبب تأثّر لوقا أثناء كتابة الإنجيل وفي صوغه هذا السؤال بالقاموس المسيّانيّ المسيحيّ السائد في الكنيسة الأولى.

جواب يسوع يثير سخط المجتمعين ولكنّه لم يُنْعَتْ منهم صراحةً، في إنجيل لوقا، «بالتجديف» كما هي الحال عند مرقس (١٤: ٦٤) وعند متّى (٢٦: ٦٥). مع الأخذ بالاعتبار أنّ لوقا وجّه إنجيله إلى جماعةٍ غير يهوديّة ما يفسّر عدم ذكر لوقا نقاشات وجدالات وعبارات لا يفقهها الوثنيّون. ولكن يُستشفّ هذا النعت من ردّ فعلهم ومن أفعالهم اللاحقة. عدم ذكر لوقا الحكم الصادر عن المجلس لا يعني ما استنتجه بعض المؤرّخين والمفسّرين بأنّ مسؤوليّة الحكم على يسوع بالموت تُلقى على الرومان وليس على اليهود. لوقا، بالأخصّ، لم يرفع هذه المسؤوليّة عن اليهود وهذا ما عبّر عنه بوضوح في مواضع عدّة من أعمال الرسل: «الذين أنتم صلبتموه سيّدًا ومسيحًا» (٢: ٣٦)، «إنّ إله آبائنا أقام يسوع الذي علّقتموه على الخشبة وقتلتموه» (٧، ٥٢)، وفي مواضع أخرى كثيرة لا مجال لذكرها. إضافة إلى أنّ إلقاء مسؤوليّة الحكم على يسوع كاملةً على الرومان لا يتناسب مع ما ذكرناه حول القرّاء الذين وجّه لوقا إليهم إنجيله.

في العام ١٩٣٣، في القدس، جرت إعادة محاكمةٍ رمزيّةٍ ليسوع شارك فيها خمسة قضاة يهود، اعتبروا أنّ الحكم الصادر عن المجلس الكبير ضدّ يسوع كان «خطأً رهيبًا». هذه الواقعة لا تزيد فهمنا نصوصنا المقدّسة ولا تنقصه إذ لا تبدّل شيئًا من جوهر هذه الأحداث الخلاصيّة. فمسؤوليّة صلب يسوع تقع على الخطيئة السائدة في العالم وفي نفوس البشر من جهة، وعلى محبّة اللَّه للعالم لكونه صلب ومات طوعًا تعبيرًا عن هذه المحبّة الإلهيّة.■

05-Georges Maalouli-3-2021.qxp_Layout 1 9/29/21 8:32 PM Page 123

ضحايا العنف

د. جورج
معلولي

خلاصة المقال:

- تعصف في نفس الضحايا مشاعر كثيرة: الحقد والهلع والعنف تجاه الآخرين وتجاه النفس.
- محبّة الآخرين مرحلة ضروريّة لتعيد الضحيّة ترميم علاقتها بنفسها.
- يتعلّم الضحايا أن يرفضوا هيمنة العنف عليهم داخليًا وأن يقولوا: لا.
- الغفران ثمرة مسيرة طويلة تسندها العدالة البشريّة والامتداد إلى بداءات جديدة يغذّيها الإيمان.

عواصف النفس بعد اختبار العنف :

ماذا يحصل في نفس من تعرّض للعنف (الجسديّ أو المعنويّ)؟ ما يخبرنا إيّاه ضحايا العنف يدور في فلكين. الأوّل هو الكره، أو الإحساس بالقرف أو شعور لا يوصف من الهلع. هذا ما يمكن فهمه. كيف لا نكره من اغتصب جسدنا أو روحنا؟ كيف لا نرغب في إقصاء كلّ ما يشبه من بعيد أو قريب المعتدي علينا، المجتمع، الجنس البشريّ وأحيانًا الوجود كلّه؟ إذا كان ما يستحيل احتماله ممكن الحصول ألا يعني هذا انحرافًا في أساس كلّ الوجود؟ كيف لا نرغب في الانتقام من هذا كلّه؟ ثانيًا يمكن للضحيّة أن تختبر ردّود فعل عنيفة. يمكن أن تختبر أيضًا حزنًا شديدًا إذا توجّه العنف إلى نفسها فتراودها أفكار اللوم ضدّ نفسها. عندما يحدث العنف، ندخل في مناخ الاضطهاد واللعنات ضدّ الآخرين، وما هو أسوأ، ضدّ النفس. تتملّك أفكار الحقد والذنب قلب الضحيّة. تستدخل الضحيّة العنف والاكتئاب وجهين لعلاقة العبوديّة. يلحق الشرّ الأوّل شرّ آخر فيصبح المرء عبدًا لأفكاره الداخليّة وظالمًا لنفسه. تدخل النفس في حلقة مفرغة، في كابوس لا ينتهي. كيف تخرج من هذا الكابوس؟ هل تمارس العنف بدورها فتقتل أو تنتحر؟ تحاول أن تخنق العنف بالعنف. يصبح الشرّ كرة ثلج، عدوى جماعيّة كالوباء، ويصبح ضحايا الأمس جلّادي اليوم، وهكذا دواليك إلى ما لا نهاية. لماذا؟ لأنّ الذي تُرك وحده في خبرة العذاب، إن لم تمتدّ إليه يد الودّ الشافي من الآخرين أو إصغاء المعالج المرمّم، يغرق في ذكرى الألم ولا يتمكّن من تجاوزها. هاجس الألم الذي يتملّكه يشلّ كلّ الأفكار لديه. تغزو المعاناة كلّ ثنايا النفس. ولكن في قلب المعاناة تبرز ضرورة الفكر،

05-Georges Maalouli-3-2021.qxp_Layout 1 9/29/21 8:32 PM Page 124

ضرورة الفهم، ضرورة القفز إلى رؤية جديدة.

بداءة الشفاء:

يمرّ هذا المخاض بمراحل عديدة. تبدأ الأولى مع الآخر. وساطة الآخرين ضروريّة لنخرج من تملّك الأفكار المؤلمة. من لا يستطيع حمل نفسه يتمّكن من الوقوف إن حمله آخر. هذه مبادرة عميقة تمحي فعل العنف. من يمارس علينا العنف يزرع فينا الشكّ في الإنسانيّة. ولكن من يأتي ليحملنا في الوقت الذي لا نستطيع فيه أن نحمل أنفسنا يرمّم فينا علاقتنا مع الإنسانيّة. من هنا أهمّيّة التعاضد البشريّ. كلّ إنسان، إن بنى نفسه إنسانًا وعرف أن يصبح سندًا، يغدو رسولاً للانطلاق، للقفزة، للفصح للمحتاجين إليه. أن نرى أشخاصًا كاملين في إنسانيّتهم وقادرين على التعاضد يفدي كلّ الذين هشّموا الإنسانيّة.

حرارة اللقاء قوّة الانطلاق الجديد عند المتألّم. يشعر الإنسان الضحيّة أنّه مجروح، مرذول، لا يشتهي أحد أن ينظر إليه. ولكن إذ تمتدّ إليه يد صديق، أو تلاقيه نظرة حنان ومحبّة، تظهر حضرة جديدة. حضرة فيها من الخفر واللطف ما يكفي ليبدأ الشفاء. تظهر يد لا تريد أن تستهلك وتدمي، وينطق فم بكلمات لا تمزّق ولا تهشّم، وتمتدّ ذراعان قادرتان على الاستقبال والقبول. كنّا نشكّ في الحياة وها هي الحياة تبدأ من جديد.

الحرب غير المنظورة :

تمرّ المرحلة الثانية عبر الذات. مخاض الفصح الجديد يمرّ بالفكر، بالتحوّل الداخليّ. يمكننا أن نترك أنفسنا عبيدًا للشرّ الذي تملّك فينا، وتاليًا نصبح جلّادين لذواتنا. ويمكن أن نقول لا. أن نرفض. أن نثور. نرفض أن نتآمر مع نفسنا ضدّ نفسنا. هذا يسمّى جهادًا داخليًّا، حربًا غير منظورة، رفضًا التجربة. نرفض أن نقوم بدور الضحيّة. لن ينتصر الشرّ علينا مرّتين. نكتشف مبدأ المقاومة هذا عندما نفكّر بنفسنا. نعيد الارتباط بذاتنا، نقاوم التفكّك، نصدّ الجنون. أن نحيا أو أن نُجنّ، هذا هو الخيار. العقل ضدّ الجنون. ينتصب الإنسان ضدّ ما يعاديه. أن نعقل، أن نفكّر، هو أن نقول لا. هذه مواقف نتعلّمها. أن نكتشف المصارع الذي في داخلنا. ربّما نتعلّمها من كلّ مقاوم حقّ يظهر في حضارة البشر ليبثّ رسالة شجاعة حقيقيّة، تمسّكًا لا ينثني بالنور ولا يتذلّل. لا نصارع لأنّنا أقوياء بل نصبح أقوياء لأنّنا نصارع. الثقافة الحقّ هي في تثبيت الأشخاص في قوّتهم، في عدم الخجل بقوّتهم. عندها تتمكّن الضحيّة من أن تنتصب، أن تحمل سريرها وتمشي، أن تتخلّص من تخلّعها. تحوّل التجربة المرّة إلى قوّة داخليّة. يستطيع الإنسان عندها أن يعود إلى الحياة وأن يقول: أريد أن أحيا. هذا صراخ ما بعد الصراخ. يمكن لصراخ الألم أن يتحوّل نداء للحياة.

05-Georges Maalouli-3-2021.qxp_Layout 1 9/29/21 8:32 PM Page 125

ضحايا العنف

د. جورج معلولي

قفزة الغفران:

ترتبط المرحلة الثالثة بما يتجاوزنا. لأنّ هذا العالم لا يكفي. هذه امتداد للمراحل السابقة نحو السماء. يمكننا أن ننتقم بالعنف أو بالانتحار وتتوقّف الحياة. ماذا بعد؟ في البشريّة وحوش كثيرة، ولكن فيها أيضًا أطفال يلعبون، أصدقاء يستقبلون، وناس يبتسمون. هل أكسر الخير الموجود باسم شرّ موجود؟ ألا أكون ظالمًا أنا أيضا كالظلم الذي أحكم عليه؟ لماذا أحطّم الغد؟

غالبًا ما ظننا أنّ الغفران هو التبرير. من يغتصب ويمارس العنف ليس مبرّرًا. العنف لا يمكن تبريره. ولكن يحدث أنّ الضحيّة، رغم اختبارها التعنيف، تقوى على أن تذهب إلى ما هو أبعد، أن تعطي مستقبلاً لمستقبلها، أن تعيد بدء الزمن وأن تقفز فوق الأسوار. هذا من مفاعيل الغفران الحقّ. ليس هذا نسيانًا. محو الماضي ليس فقط مستحيلاً بل غير محبّذ. ليس تبريرًا بل هو كسر حلقة الحقد المفرغة. يمكن أن نبقى في زمن مقفول، زمن الأسى المهيمن. ولكنّنا نقرّر أن نذهب إلى أبعد، إلى بداءات جديدة. الغفران هو ألاّ نحجز كلّ البشر والحياة لأنّ واحدًا، في لحظة أو أكثر، كبّلنا واحتجز حياتنا. هذا انتقال إلى بعد رؤيويّ من الوجود، مسيحانيّ، انغراس في خلاص المسيح وقوّة قيامته. العنف صراخ الضعفاء. أمّا الوداعة فهي صوت الأقوياء. لقد أراد العنيف أن يكون قويًّا فما استطاع، فاستخدم العنف وهمًا للقوّة. التاريخ حولنا مليء بالضعفاء الذين يمارسون العنف ليختبروا القوّة، وبالودعاء الأقوياء الذين يقع العنف على رؤوسهم. طوبى للودعاء لأنّهم يحوّلون الأرض بقوّة ليست من هذا العالم. رأى بعض المترجمين أنّ الطوبى تعني: أكملوا السير !. تابعوا المشي أيّها الودعاء ولا تتوقّفوا لأنّكم بهذا ترثون الأرض التي تغدو بكم ملكوتًا. غير أنّ هذا لا ينفي أن نعمل لنوقف أعمال العنف. محبّة الظالم والمظلوم تحصرنا. لذلك نعمل على أن يكفّ الظالم يده عن العنف. تضطرّنا المحبّة إلى أن نستخدم الطرائق القانونيّة والنضال اللاعنفيّ لنقول للظالم إنّه ظالم ولنحمي الودعاء من ظلمه والأنقياء من فساده. «الرحمة والحقّ تلاقيا، البرّ والسلام تلاثما»، يقول المزمور (مزمور ٨٥ : ١٠). تدلّ الدراسات الحديثة على أنّ العدالة تسهّل عمليّة الغفران، بخاصّة إن تركّزت على تأمين الحقوق لمن سُلب حقّه (أكثر من العدالة المرتكزة فقط على العقاب). العدالة البشرية تسند المهمّشين والإيمان بالدينونة الأخيرة يسند الإيمان بالحقّ والخير حتّى لا يخور أمام طغيان العنف. يمكن عندها لضحايا العنف، أن يقوموا كإلههم في اليوم الثالث ويقولوا لنا: هاتوا إصبعكم وجسّوا آثار المسامير والطعنة في كياننا القائم.■

06-Chiribe Rizk-2-2021.qxp_Layout 1 9/29/21 8:33 PM Page 126

المسيحيّة والأديان الأخرى
الكلمة في الديانات غير المسيحيّة

شيرين رزق

تمهيد

الدين ضرورة حياتيّة يطبع الإنسان، بل يسيّر حركة حياته ونمائه وفق قواعده، والتديّن موقف أساس من مواقف القيّم الإنسانيّة، بل من أعظمها والتي لا تُمنح للإنسان إلاّ باللّه.

عبر تاريخ الإنسانيّة لا يوجد قوم عاشوا من دون أن يؤمنوا بدين أو ينقادوا إلى عبادة وطقوس، لذلك فالفكرة الدينيّة منتشرة بين جميع الشعوب والأقوام البدائيّة أو المتحضّرة، كالبابليّين (بعل وعشتار) والسومريّين (انو وانليل) والفرس (أمورامزدا) والهنود (برهما، شيفا، بوذا...). ولهذا ذكر مؤرّخو الحضارات وتاريخ الأديان أنّ الدين من العوامل التي سيطرت على البشر، وأنّ التحسّس الدينيّ من الخواصّ اللازمة لطبائعنا الراسخة، ومن المستحيل أن نتصوّر ماهيّة الإنسان من دون أن تتبادر إلى ذهننا فكرة الدين. فالكتب السماويّة (التوراة، الإنجيل، القرآن) تؤكّد هذه الحقيقة السرمديّة.

اللّه في الديانات المختلفة

سأستعرض بعض الأبحاث التي تدلّ على وجود اللّه الكلمة المبذورة في الكتب المقدّسة لنرى أنّ اللّه خلق الانسان على صورته ومثاله، ورغم تشويه الخطيئة لصورة الإنسان نتيجة السقوط، إلاّ أنّنا نرى أنّ جميع الخلائق تتوق إلى الخالق الأعلى لتضرع إليه، وتحيا الخير والسلام بالخضوع والعبادة التي تنوّعت بشعائر وطقوس وتقديم ذبائح وقرابين لتمجيد الآلهة.

قديمًا سعى الإنسان إلى الغوص في الماورائيّات وما فوق الطبيعة وعالم الغيب، وكانت قوى الطبيعة الجبّارة مصدرًا لخوف الإنسان فلجأ إلى اعتبارها آلهة لا بدّ من مخاطبتها وعبادتها والخضوع لها، اتّقاءً لشرّها واعتبارها الإله المطلق لجلب الرحمة على الشعب وإبعاد خطر الموت عنه.

فعند المصريّين القدامى نجد الملك أمنحوتيب يقول لآتون إله الشمس: «يا أيّها الإله الأوحد خلقت الأرض حسب رغبتك والناس جميعًا، أنت معطي النفس، أنت الحيّ الذي كنت في أزليّة الحياة عندما تشرق فأشعّتك يا أتون تحيط بالأرض كلّها».

الديانات الإبراهيميّة:
اليهوديّة والمسيحيّة والإسلاميّة

اللّه في الديانة اليهوديّة:

اللّه هو خالق الكلّ وهو إله واحد لا جسد له ولا

06-Chiribe Rizk-2-2021.qxp_Layout 1 9/29/21 8:33 PM Page 127

يتجزّأ ولا مثيل له، هو السبب الأساس في كلّ الوجود، ويجب عبادته هو فقط. كما هو المتسلّط الأوحد على الكون. ويؤمن اليهود بأنّ اللَّه يلاحظ تصرّفات البشر، ويكافئ الناس على الأعمال الصالحة ويعاقب من يفعل الشرّ. وحسب التقاليد اليهوديّة الجانب الحقيقيّ للَّه غير معلوم أو غير مفهوم، والجانب المعلوم للَّه هو ما يتجلّى في خلق الكون والموجودات.

يؤمن اليهود أيضًا بأنّ اللَّه هو إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب، وسلمت إسرائيل من العبوديّة في مصر بمشيئته، وأعطاهم الوصايا العشر في جبل سيناء بواسطة موسى النبيّ. ويتواصل مع الشعب اليهوديّ ويخاطبهم عبر الأنبياء. يطلق اليهود على اللَّه اسم يهوه والذي يعني «الواحد واجد النفس».

وفي التقاليد اليهوديّة اسم آخر للَّه هو إلوهيم، وهذا المسمّى يتعلّق بالتفاعل بين اللَّه والكون.

الدين في الإسلام

أساس الإسلام هو الإيمان بالإله الواحد وهو اللَّه، الدائم، الحيّ الذي لا يموت، ولا يغفل، عادل لا يظلم، لا شريك له. رحمان رحيم، يغفر الذنوب ويقبل التوبة ولا يفرّق بين البشر إلّا بأعمالهم الصالحة، وهو خالق الكون والمتحكّم فيه. اللَّه ليس أحد مثله مغاير تمامًا لكلّ مخلوقاته وبعيد عن تخيّلات البشر.

وللَّه في الإسلام أسماء عدّة تُعرف «بالحسنى»، وتدلّ على مدح اللَّه وحمده وثنائه وتمجيده. ومنها الملك، القدّوس، السلام، المؤمن، المهيمن، العزيز، الجبّار، القابض، الباسط، الوكيل، الأوّل، الرؤوف، ذو الجلال والإكرام، وغيرها.

في القرآن اليهود والمسيحيّون هم من أهل الكتاب، ويقرّ المسلمون بوجودهم في المجتمع الإسلاميّ ويميّزون بشكل خاصّ المسيحيّين، ويذكرون صراحة أنّهم الأكثر مودّة للمسلمين ونرى ذلك واردًا في القرآن:

أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ
آنَاء اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ.
يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ
وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ
وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ أولئك من الصالحين (آل عمران ٢١٣).

يكرم القرآن أيضًا الإنجيل ويعتبره كتابًا سماويًّا منزلاً ويسمّيه «الكتاب المنير» وهدى ونور الإيمان لكونه منزلاً من عند اللَّه.

يسوع في القرآن يدعى عيسى ويسمّيه كذلك المسيح، ويلازم القرآن وصفه بابن مريم، وهو نبيّ ومؤيّد بالروح القدس، وبشّرت الملائكة به مريم بكلمة من اللَّه، ويدعى وجيهًا في الدنيا والآخرة وجاء بالحكمة، ويذكر القرآن عددًا من أعمال يسوع ومعجزاته. ويشدّد القرآن على وصف المسيح بالبشريّة ويشبّهه بآدم حيث خلقهما اللَّه من تراب ثمّ نفخ فيهما من روحه وتشير سورة الأنبياء ٩١ إلى عذريّة مريم وحملها بأمر اللَّه من دون وجود ذكر،

06-Chiribe Rizk-2-2021.qxp_Layout 1 9/29/21 8:33 PM Page 128

وتختم بالإعلان أنّ يسوع وأمّه هما آية للعالمين؛ بيد أنّ القرآن يرفض ألوهيّة يسوع ويصفه بعبد اللّه، والإيمان بالمسيح يدخل في الركن الرابع من أركان الإيمان في دين الإسلام. وأبناء الطائفتين الشيعيّة الإسماعيليّة والعلويّة يؤمنون باللّه وبيوم القيامة والحساب.

الطائفة الإباضيّة تؤكّد صفات الكمال للّه في جوهره، فالإسلام بالنسبة إليها الإيمان والورع وتنفي رؤية اللّه، فاللّه خلق الإنسان وله القدرة والإرادة الحرّة، فسيحاسب على أعماله الصالحة.

تشدّد الطائفة المعتزلة على توحيد اللّه وتنزيهه المطلق، وعلى أنّ الجنّة ستفنى وكذلك النار وكلّ سكّانهما حتّى يبقى في الوجود اللّه وحده.

اللّه في الأديان المقارنة:

يهتمّ علم الأديان المقارنة بالموازنة بين العقائد والممارسات في أديان العالم. لكنّ الدراسة المقارنة للأديان تؤدّي إلى فهم أعمق للاهتمامات الفلسفيّة الأساسيّة وراء الطبيعة والأخلاق والحكمة، وتشير إلى طبيعة الخلاص وشكله.

الأديان الهنديّة

الديانة الهندوسيّة: نظريّة الخلق تقول حسب الفيدة الهنديّة: هناك آلهة عدّة منها الإله أندريا الخالق المنظّم، له سلطة فوق الطبيعة. والإله رودا: إله الموت والرعب. الإله أغني: إله النار، عالم بكلّ شيء، يقود الناس إلى برّ الأمان، وهو الوسيط مع الآلهة. الإله براهما: هو الخالق والمخلوق بالوقت عينه، إله الخير والحياة ويسود على الآلهة الأخرى، فبراهما هو الأبديّ اللامحدود اللامتناهي، هو الربّ العظيم. الإله شيفا: إله الحياة والموت والدمار. الإله فيشنو: الإله الأسمى الموجود خالق الكون وحارسه تتجسّد الألوهيّة عبره. إذًا الديانة الهندوسيّة تؤمن بخالق مصدر الخير، والروح الأزليّة المستمرّة التي لا خلاص لها إلّا باتّحاد النفس بالبراهمان إله الآلهة، وبهذا تكون الروح البشريّة جزءًا من الإله.

الديانة البوذيّة

أوجد معتقداتها بوذا وقام بنشرها مع تلاميذه.لا ينكر وجود خالق ولا يقبل به بل يدعو إلى التأمّل بمفهوم الألوهيّة، أي الله وبالممارسات الروحيّة للوصول إلى النرفانا، أي حالة الاستنارة التي يرى فيها اللامولود، اللاصائر، وبه يتمّ الانعتاق والتحرّر المطلق، فالبوذيّة لا تقوم على الإيمان البحت بل تضع وزنًا لموضوع الوصول إلى النرفانا.

الديانة الزرداشتيّة: تقول إنّ الروح العظيمة (زورفان) هو الربّ الأعلى ينجب ابنين هما: (اهورافردا) أي الربّ الحكيم ومصدر الخير والنور والذي يخلق الحياة والعالم، وابنه الثاني (سبنتامانيو) روح الحكمة.

الديانة الكونفوشيوسيّة في الصين:

نعمت الصين بكثرة حكمائها قبل الميلاد، فالناس تتجمّع حولهم للحصول على المعرفة الحقيقيّة.

06-Chiribe Rizk-2-2021.qxp_Layout 1 9/29/21 8:33 PM Page 129

المسيحيّة والأديان الأخرى الكلمة في الديانات غير المسيحيّة

شيرين رزق

الكونفوشيوسيّة: فلسفة دينيّة تركّز على مفهوم الشرق الآسيويّ للطاو (السبيل). أنشأ هذا المفهوم مجموعة كبيرة من الأديان بما في ذلك الطاويّة والكونفوشيوسيّة.

مؤسّسها كونفوشيوس من معتقداتهم:

الإيمان بإله السماء وإله الأرض ويعبد الناس من الطبقة العليا إله السماء والطبقة الدنيا تعبد إله الأرض، والأمبراطور هو ابن السماء.

الإيمان بوجود ملائكة مقدّسة وتكريمها.

هناك قدر متحكّم في الأشياء فعندما تزداد الذنوب يعاقب إله السماء.

هدف الدين إصلاح المجتمع ورفعه إلى مستوى أخلاقيّ مثاليّ سامٍ.

بعد استعراض ما تؤمن به الأديان غير المسيحيّة، نجد أنّ باستطاعتنا أن نتلمّس عبرها الكلمة اللَّه المبذورة في تلك الديانات.

كلمة اللَّه في الديانة المسيحيّة بطوائفها كافّة.

اللَّه هو إله واحد، منذ الأزل وإلى الأبد، غير مدرك، كلّيّ القدرة والعلم، وهو خالق الكون والمحافظ عليه.

خلق الإنسان بدافع حبّ محض.

اللَّه متعال عن كلّ مخلوق، فهو «يسمو على كلّ خليقة، لا يحدّه عقل، لا يرى، ولا يُدرَك بتصوّراتنا البشريّة. لا نستطيع أن نعرف ماهيّة اللَّه، بل ندرك صفاته، كعدم الاستحالة.

تقدّم المسيحيّة ما هو ضروريّ لمعرفة اللَّه والخلاص، والعقل يدرك وجود خالق عبر الخليقة.

وأنّ اللَّه الواحد هو في ثلاثة أقانيم اللَّه ضابط الكلّ، خالق السماء والأرض كلّ ما يرى وما لا يرى، وبربّ واحد يسوع المسيح ابن اللَّه الوحيد المولود من الآب قبل كلّ الدهور، إله حقّ من إله حقّ، مولود غير مخلوق مساوٍ الآب في الجوهر الذي به كان كلّ شيء، الذي من أجلنا نحن البشر ومن أجل خلاصنا، نزل من السماء وتجسّد من الروح القدس ومن مريم العذراء وتأنّس وصلب عنّا وتألّم وقبر وقام في اليوم الثالث وصعد إلى السماء، وجلس عن يمين الآب وسيأتي بمجدٍ ليدين الأحياء والأموات الذي لا فناء لملكه.

ونؤمن أيضًا بالروح القدس المنبثق من الآب الذي هو مع الآب والابن، مسجود له وممجّد الناطق بالأنبياء... على اسم الآب والابن والروح القدس الإله الواحد آمين.

اللَّه محبّة لم يرتض أن ينفصل الإنسان عنه، فأرسل ابنه الوحيد وتجسّدت كلمته بيسوع المسيح لخلاص جنس البشر من سلطة الخطيئة، وقام ليقيمنا معه لننال الخلاص بنعمة روحه القدّوس لنيل الحياة الأبديّة. يستهلّ يوحنّا اللاهوتيّ إنجيله بالآية التي تترجم المسيحيّة: «في البدء كان الكلمة، والكلمة كان عند اللَّه، وكان الكلمة اللَّه» ■

07-Asaad Kattan-3-2021.qxp_Layout 1 9/29/21 8:33 PM Page 130

في خدمة الشركة

وثيقة أرثوذكسيّة–كاثوليكيّة جديدة

أسعد إلياس
قطّان

قبل بضعة أسابيع، صدرت عن الجامعة الأنطونيّة الغرّاء الطبعة العربيّة لوثيقة Serving Communion (وثيقة غراتس) التي كانت حلقة القدّيس إيريناوس الأرثوذكسيّة–الكاثوليكيّة قد أطلقتها بالإنكليزيّة العام ٢٠١٨ في مدينة غراتس من أعمال النمسا. يحمل النصّ العربيّ عنوان «في خدمة الشركة: إعادة التفكير في العلاقة بين الأوّليّة والمجمعيّة». ويتصدّره مقدّمة معرّبة عن الفرنسيّة للأب الدومينيكيّ وأستاذ اللاهوت العقائديّ هرفيه لوغران، وتوطئة لناشرَي الطبعة العربيّة الأب ميشال جلخ الأنطونيّ وأسعد قطّان. تضمّ حلقة القدّيس إيريناوس، التي تأسّست العام ٢٠٠٤ في مدينة بادربورن في ألمانيا، ثلاثة عشر لاهوتيًّا أرثوذكسيًّا وثلاثة عشر لاهوتيًّا كاثوليكيًّا ينتمون إلى بلدان مختلفة (هي حاليًّا الأرجنتين والنمسا وبلغاريا وفرنسا وألمانيا واليونان وإيطاليا ولبنان ومالطا وهولندا ورومانيا وروسيا وصربيا وأوكرانيا والمملكة المتّحدة والولايات المتّحدة الأميركيّة). ولا تنتدب الكنائس هؤلاء الأعضاء، بل تجري دعوتهم بالاستناد إلى جدارتهم اللاهوتيّة. وتاليًا، فإنّ حلقة القدّيس إيريناوس ليست لجنة حوار رسميّة، بل هي فريق عمل غير رسميّ يتألّف من خبراء يلتقون مرّةً في السنة بهدف دعم الحوار الأرثوذكسيّ–الكاثوليكيّ على المستوى العالميّ.

تمتاز الوثيقة التي نحن في صددها بأنّها توائم، من حيث المنهج، بين المقاربة التاريخيّة (نسبةً إلى التاريخ الكنسيّ) والمقاربة النظاميّة (نسبةً إلى اللاهوت النظاميّ systematic) مؤسِّسةً كلا المقاربتين على قاعدة نظريّة صلبة قوامها مجموعة من الملاحظات المتّصلة بكيفيّة تأويل النصوص والتعامل معها تفسيريًّا. وهي تنطوي، بالإضافة إلى المقدّمة والخاتمة، على ثلاثة فصول، أوّلها تأويليّ، ويحمل عنوان «تفكّرات تأويليّة»، والثاني تاريخيّ، وعنوانه «ملاحظات تاريخيّة»، والثالث نظاميّ، ويتّخذ عنوان «مطارحات نظاميّة». وتشتمل الوثيقة، بصرف النظر عن تقسيمها إلى فصول، على ستّ عشرة أطروحة مشتركة (com-mon statement) يرافق كلًّا منها عدد من التعليقات والشروح التي تهدف إلى توضيح الفكرة الأساسيّة، وذلك من طريق الأمثلة وشرح

07-Asaad Kattan-3-2021.qxp_Layout 1 9/29/21 8:33 PM Page 131

في خدمة الشركة وثيقة أرثوذكسيّة-كاثوليكيّة جديدة

أسعد إلياس قطّان

المصطلحات ورصد التطوّرات وصوغ أسئلة معلّقة.

يشكّل الفصل الأوّل من هذه الوثيقة نوعًا من «خارطة طريق». وهو، بلا شكّ، النصّ الأوّل في تاريخ الحوار المسكونيّ الذي يعمل فيه لاهوتيّون أرثوذكس وكاثوليك على صوغ مشترك لعدد من المبادئ التأويليّة التي تهدف إلى شحذ المقاربتين التاريخيّة والنظاميّة وتوجيههما. وينطوي هذا الفصل على ملاحظات تتّصل بضرورة الانتباه إلى الرهانات التأويليّة في الحوار المسكونيّ عمومًا، وفي التعاطي مع اللغة اللاهوتيّة والعقائد والقوانين الكنسيّة والعوامل غير اللاهوتيّة على وجه خاصّ. كما تشدّد هذه الملاحظات على أهمّيّة علم التاريخ ومناهج دراسة التاريخ بالنسبة إلى اللاهوت. تكمن فرادة هذا الفصل الأوّل في ما يفصح عنه من اتّفاق في المقاربة المنهجيّة بين لاهوتيّين أرثوذكس وكاثوليك ينتمون إلى فروع دراسيّة مختلفة كالكتاب المقدّس والتاريخ الكنسيّ والآبائيّات والعقيدة والليتورجيا والقانون الكنسيّ. فالمعروف أنّ عدم قدرة الحوار الأرثوذكسيّ-الكاثوليكيّ، في العقود الأخيرة، على تقديم مقاربة مشتركة متكاملة للأحداث التاريخيّة يجب عزوه لا إلى مواقف عقائديّة مختلفة فحسب، بل أيضًا إلى غياب منهجيّة علميّة مشتركة.

إنّ أحد مواطن القوّة في وثيقة «في خدمة الشركة» هو فصلها التاريخيّ. طبعًا، لا يدّعي المؤلّفون أنّهم قاموا بدراسة تاريخيّة فريدة من نوعها. فهم يشيرون، في المقدّمة، إلى محدوديّة نصّهم، وخصوصًا في قسمه التاريخيّ، ويعون استنادهم إلى مئات البحوث التاريخيّة التي قام بها دارسون ثقات. ولكنّ أهمّيّة هذا الفصل، الثاني في ترتيبه، تكمن في أنّه يقوم للمرّة الأولى في تاريخ الحوار الأرثوذكسيّ-الكاثوليكيّ بتوصيف مشترك لألفي سنة من تاريخ كنيستي الشرق والغرب، وذلك من زاوية العلاقة بين الأوّليّة والمجمعيّة. ويقسم هذا الفصل المادّة التاريخيّة إلى حقب خمس: مرحلة الكنيسة القديمة (من القرن الأوّل إلى القرن الثامن)، مرحلة التغرّب (من القرن التاسع إلى القرن الخامس عشر)، مرحلة التمذهب (من القرن السادس عشر إلى القرن الثامن عشر)، مرحلة الانطواء الإكليزيولوجيّ (القرن التاسع عشر)، ومرحلة النهضة الإكليزيولوجيّة (القرنان العشرون والحادي والعشرون). ولعلّ أبرز ما يشتمل عليه هذا الفصل قراءة سياقيّة مشتركة للمجمع

07-Asaad Kattan-3-2021.qxp_Layout 1 9/29/21 8:33 PM Page 132

الفاتيكانيّ الأوّل. من النافل القول إنّ هذه القراءة لا تسعى إلى التقليل من الصعوبات التي تختزنها نصوص هذا المجمع، ولا سيّما التحديدات العقائديّة المرتبطة بعصمة البابا من السدّة (ex cathedra) وولايته على كنائس الأرض جميعها. ولكنّها تبيّن أنّ المجمع الفاتيكانيّ الأوّل كان ردّ فعل «قابل للفهم» على تحدّيات الحداثة الغربيّة، وأنّ نصوصه خضعت، في قلب الكنيسة الكاثوليكيّة ذاتها، لتفسيرات فيها الكثير من الغلوّ، بمعنى أنّها لا تنسجم مع المقاصد الأصليّة لآباء المجمع، وخصوصًا أنّ هؤلاء رسموا حدودًا واضحة المعالم للعصمة البابويّة، وجعلوها تعبيرًا عن عصمة الكنيسة ككلّ وخاضعةً لمضامين الكتاب المقدّس والتقليد الرسوليّ.

أمّا الفصل الثالث، فيسعى، بالدرجة الأولى، إلى تظهير الرهانات اللاهوتيّة لمفهوم الشركة، أو الكينونيّا (koinonia)، بوصفها قاعدة الحياة الكنسيّة، وتبيان كيف أنّ السلطة في الكنيسة هي في خدمة الشركة. فضلاً عن ذلك، يقدّم مؤلّفو الوثيقة تأويلاً لاهوتيًّا لمفهومَي الأوّليّة والمجمعيّة، وذلك بالارتكاز على معطيات مستمدّة من الكتاب المقدّس والتاريخ الكنسيّ والقوانين. وهم يؤكّدون أنّ مبدئَي الأوّليّة والمجمعيّة، في مقاربة لخبرة الكنيسة تستند إلى مفهوم الشركة، ليسا مجرّد بنية طارئة، بل يشكّلان جزءًا لا يتجزّأ من طبيعة الكنيسة ذاتها ويتداخلان الواحد في الآخر. وتُختتم الوثيقة بخلاصة تستعيد، على نحو موجز، أهمّ محطّات النصّ من جهة، وتقدّم عددًا من الأفكار ذات الطابع الاستشرافيّ من جهة أخرى.

لئن كانت وثيقة غراتس لا تتّسم بطابع رسميّ، إلّا أنّها تشكّل، من دون أدنى شكّ، فتحًا كبيرًا في الحوار اللاهوتيّ بين الأرثوذكس والكاثوليك. فهي، إلى جانب وضعها مداميك مقاربة تأويليّة مشتركة، تنجح في تقديم توصيف متّفق عليه للعلاقات بين الكنيستين على مدى ألفيّتين من الزمن، مشدّدةً على العلاقة الوثيقة بين الأوّليّة والمجمعيّة من حيث كونهما مبدئين غير منفصلين، بل يكمّل واحدهما الآخر. هذا لا يعني، طبعًا، أنّ العوائق اللاهوتيّة بين الكنيستين الأرثوذكسيّة والكاثوليكيّة أزيلت كلّها. ولكنّ هذا النصّ يبنى عليه، ولا شكّ، بوصفه خطوةً على جانب كبير من الأهمّيّة في طريق إزالتها.■

08-Frida Haddad-3-2021.qxp_Layout 1 9/29/21 8:34 PM Page 133

تأمّل في زمن الكورونا
الجزء الثالث

فريدا حدّاد عبس

تفسير الأصحاح الثالث عشر من رسالة بولس الرسول الأولى إلى أهل كورنثوس تحت مجهر الكورونا

«وصيّة جديدة أنا أعطيكم: أن تحبّوا بعضكم بعضًا. كما أحببتكم أنا تحبّون أنتم أيضًا بعضكم بعضًا. بهذا يعرف الجميع أنّكم تلاميذي: إن كان لكم حبّ بعضًا لبعض» (يوحنّا ١٣ :٣٤– ٣٥). ماذا يعني أن نحبّ بعضنا بعضًا كما أحبّنا الربّ يسوع تحت وطأة وباء كوفيد ١٩؟

لدينا عطيّة التقليد المقدّس بما في ذلك نصّ الكتاب المقدّس ومثال سير القدّيسين، لإرشادنا في فهم ما تعنيه وصيّة الربّ يسوع هذه في حياتنا اليوميّة:

هنالك أمور بديهيّة تطرح ذاتها علينا كالعطاء السخيّ، قدر استطاعتنا، لمن فقدوا مصدر دخلهم تحت وطأة الأزمة الاقتصاديّة التي تحاصرنا. لا نعطي من فضلات موائدنا بل من صميم قلوبنا. ما يعطى من اليد في يد أخرى يلقى ويؤخذ من غير منّة. أمّا ما يعطى من القلب ففي قلب الآخر يزرع بذار محبّة السيّد.

نحن مدعوّون إلى صلاة نرفعها كلّ يوم، بإلحاح، في حرب غير منظورة ضدّ جيوش العمالقة التي تحوط بنا، كما أنّنا مدعوّون إلى القيام بكلّ الأعمال التي لا تتطلّب جهدًا كبيرًا، كالحفاظ على البعد الاجتماعيّ، النظافة وغسل اليدين واعتماد الكمّامات، الحجر المنزليّ وغيرها من الإرشادات الصحّيّة. جسدنا عطيّة من عند الآب. الرسول بولس يشير إلى أنّنا مدعوّون إلى الحفاظ عليه كوديعة سليمًا ومعافى، لأنّه ليس «ملكًا» لنا. يكتب: «أم لستم تعلمون أنّ جسدكم هو هيكل للروح القدس الذي فيكم، الذي لكم من اللّه، وأنّكم لستم لأنفسكم؟ لأنّكم اشتريتم بثمن. فمجّدوا اللّه في أجسادكم وفي أرواحكم التي هي للّه» (١كورنثوس ٦ : ١٩– ٢٠).

وكما تشير الإحصاءات في لبنان والعالم، من المتوقّع أن ينتشر الفيروس بسرعة إن لم نتّخذ إجراءات مشدّدة لمكافحته. قد لا تظهر أعراض المرض على بعض الأشخاص الذين يحملون الفيروس، وقد يكون غيرهم مصابًا قبل أن تظهر عليه الأعراض. هذا ما يجعل من المستحيل منع انتشار المرض بمجرّد مطالبة الأشخاص الذين يشعرون بوعكة ما، ناتجة من إصابتهم، بأن يعتزلوا ويحجروا أنفسهم. ورغم أنّ معظم الأشخاص الذين يمرضون يتعافون إن خضعوا للعلاج، فإنّ البعض الآخر معرّضون بشكل خاصّ لخطر الوفاة، كالمسنين والأشخاص الذين يعانون أمراضًا مزمنة مثل السكّري وارتفاع ضغط الدم وغيرها. وتشير الإحصاءات الحديثة

08-Frida Haddad-3-2021.qxp_Layout 1 9/29/21 8:34 PM Page 134

تأمّل في زمن الكورونا(٣)

فريدا حدّاد عبس

أيضًا إلى أنّ الأطفال قد يكونون عرضة للخطر أكثر ممّا كان يعتقد.

أمر آخر في غاية الأهمّيّة ويكمن في أنّ بين الذين يتعافون هناك من يحتاج إلى متابعة طبّيّة دقيقة، ما يثقل الحمل على مؤسّساتنا الاستشفائيّة. من هنا ضرورة الحجر المنزليّ الوقائيّ والتزام البعد الاجتماعيّ بجدّيّة وبدقّة أيضًا. وباستثناء الأشخاص الموكلين بالقيام بأنشطة أساسيّة تخدم المصلحة العامّة، يمكننا الشهادة لمحبّة المسيح عبر الحجر المنزليّ الطوعيّ، وذلك ليس فقط للحفاظ على صحّة أجسادنا التي سلّمها الربّ إلينا وديعة بل للحفاظ على صحّة الآخرين. والحجر المنزليّ طبعًا يشمل عدم المشاركة في الصلوات الجماعيّة التي يمكن أن نتابعها على وسائل الاتّصال الإلكترونيّة المتاحة. وفي حين أنّ تناول القربان المقدّس بحدّ ذاته لا يشكّل أيّ خطر للعدوى، بيد أنّ وجودنا في الكنيسة من شأنه أن يزيد خطر العدوى على نفسنا وعلى الغير، سواء حضروا هم أيضًا الخدمة الإلهيّة أو لم يحضروها بل تخالطوا مع من حضروها. صحيح أنّنا نظهر محبّتنا للآخر في حضورنا إلى جانبه، بيد أنّنا مدعوّون اليوم إلى أن نظهر محبّتنا بغيابنا الجسديّ الطوعيّ. باستطاعتنا أن نكون «حاضرين» إلى جانب القريب بالصلاة والمكالمات الهاتفيّة ونصوص رسائل البريد الإلكترونيّ وتكنولوجيا الدردشة المرئيّة.

كلمة أخيرة

كتب سيادة المتروبوليت ألكسيس أسقف أبرشيّة ماريلاند في مدينة بيت حسدا في الولايات المتّحدة ما يلي:

«لا أنسى كم تأثّرت عند قراءة نصّ للشيخ الناسك كالينيكوس الذي من جبل آثوس (١٨٥٣-١٩٣٠). انضمّ كالينيكوس إلى دير الشيخ دانيال في الجبل، حيث كان النسّاك يفتقرون إلى الحليب والجبن والبيض. يذكر كالينيكوس، في ما دوّنه، حديثًا بينه وبين الشيخ دانيال الذي قال له: صباح الفصح لا نجد عندنا بيضًا أحمر لطعام الفطور. نحتفظ ببيضة واحدة نخرجها من سنة إلى سنة ليراها الجميع فيعيّدون الفصح بفرح.

اعتزل كالينيكوس في منسك صغير طيلة أربعين عامًا مرشدًا من يأتيه للنصح. وفي أواخر حياته يذكر من قابلوه أنّ نورًا كان يشعّ من وجهه، وأنّ فرحًا لا يوصف كان ينتقل إليهم من كلماته التي حملت إليهم عزاء وبركة. لم يتناول بيضة فصح واحدة طوال كلّ تلك السنوات، بيد أنّه كان يرتوي من ينبوع الماء الحيّ الذي حدّث الربّ يسوع المرأة السامريّة عنه قائلًا: «من يشرب من الماء الذي أعطيه إيّاه أنا لن يعطش أبدًا بل يصير الماء الذي أعطيه نبعًا في داخله يتدفّق معطيًا حياة أبديّة» (يوحنّا ٤: ١٣). ولم يشارك الشيخ كالينيكوس في خدمة الصلاة الجماعيّة مع الإخوة طيلة أربعين عامًا، ولم يحظَ ببركة المناولة من الكأس المقدّسة. بيد أنّه وجد اللّه في ينبوع فجّره اللّه في داخله، تدفّق في قلبه بغزارة مانحًا إيّاه القوّة ليصعد إلى قمم يشكّ كثيرون منّا بوجودها.

وإذ نحن محصورون في قبضة الكورونا اليوم، ليمنحنا الربّ طريقًا ننتقل به من الضجيج إلى السكون، من الاضطراب إلى السلام ومن العالم الصاخب من حولنا إلى ملكوت اللّه المشرق في داخلنا، رغم أنّ غيوم الضجيج والخوف تحجبه عن مرآنا».

08-Frida Haddad-3-2021.qxp_Layout 1 9/29/21 8:34 PM Page 135

تأمّل في زمن الكورونا(٣)

فريدا حدّاد عبس

القيود التي تفرضها علينا الأزمة الحاليّة لا يمكننا أن نقارنها بالزهد الطوعيّ الذي أقامه الشيخ المبارك في منسكه، بيد أنّ الربّ يمنحنا بركته بوفرة إن قدّمنا له هذه القيود التي تحاصرنا. هو يرفعها عنّا بلطفه وحنانه متى ملأنا يومنا بأبسط الصلوات:«يا ربّ يسوع المسيح ارحمني». هذه صلاة كفيلة بأن تملأ نفوسنا بشوق إلى الكأس المقدّسة حيث نذوق طعم فصح مقيم وحيث نلتقي بالربّ وهو يلتقي بنا. ولكي يتمّ لقاء كهذا، علينا أن نقدّم القليل من الزهد الطوعيّ بالإضافة إلى الزهد اللاإراديّ المفروض علينا. ما يزال بإمكاننا أن نحصل على بيض عيد الفصح وأن نستمرّ في شركة مع من نرتاح إليهم عبر مكالمات الهاتف المحمول والفيسبوك. ولكنّنا سنحتاج إلى أن نتدرّب على أن نخصّص بعض الوقت من يومنا لنكون وحدنا مع اللّه وحده. من أجل ذلك نحتاج إلى أن نطفىء أجهزتنا الإلكترونيّة من وقت إلى آخر ونضيء شمعة؛ سنحتاج إلى أن نبتعد عن دوّامة الصور والمعلومات التي نسمح لها بدخول أذهاننا عبر التلفاز والفيسبوك والحاسوب والهاتف المحمول، ونحوّل قلوبنا نحو الشيء الوحيد الذي نفتقر إليه. نحتاج إلى أن نعود إلى أنفسنا ونسمّر أنظارنا في الشاشة الوحيدة حيث يمكننا أن نجد اللّه حقًّا، شاشة قلوبنا، إذ هي وحدها هي البوّابة إلى مملكة السماء ذاتها.

رعاتنا في كنيسة المسيح شجّعوا بحكمة على استخدام التكنولوجيا لتلبية حاجة المؤمنين إلى العبادة الجماعيّة. يتحدّث القدّيس باسيلوس الكبير نفسه (٣٢٩– ٣٧٨) عن فائدة استخدام التكنولوجيا «لتلبية حاجة معيّنة" .

هذا ما قد يترجم في لغة حضارة الألفيّة الثالثة التي نخوضها أنّ البثّ المباشر يستجيب بالفعل لكثير من حاجاتنا. هو يوفّر الأمان العاطفيّ والمرسى في فترات نشعر فيها بالقلق والاضطراب، ويؤمّن لنا نوعًا من الاستقرار الاجتماعيّ في عالم متغيّر، والدعم الروحيّ للاقتراب من اللّه وفق ترتيب الصلاة المعتمد في الكنيسة (التيبيكون).

رغم ذلك، لا يضمن البثّ المباشر لنا المشاركة في تيّار المياه الحيّ، بالضبط كما أنّ نسخة من الكتاب المقدّس نمتلكها في مكتبتنا ليس من شأنها أن تنيرنا بحدّ ذاتها بالحكمة الإلهيّة، إن لم نقبل على مطالعتها بروح الصلاة. في الواقع، قد يكون اعتمادنا المفرط على أجهزة الكمبيوتر عائقًا أمام إدراك هدف أكثر أهمّيّة بالنسبة إلينا في محنتنا الحاليّة، ألا وهو أن نحدّث الآب ونسمعه يحدّثنا إذ ندخل مخدع القلب ونغلق الباب ونحدّثه هناك ونسمعه يحدّثنا كما أوصانا هو بأن نفعل (متّى ٦ :٦).

الشيخ القدّيس إيمليانوس رئيس دير سيمونوبترا ينصحنا بأن نستخدم وسائل التكنولوجيا الحديثة بحذر، إذ غالبًا ما تكون شاشات الكمبيوتر مجرّد امتداد للأوهام والرغبات التي تلمع في أذهاننا. إنّها أماكن تشتّت وانفصال ولهو، واستخدامها لمتابعة خدمات صلوات الكنيسة قد يجعلها مفيدة، لكنّ تركيزنا عبرها يبقى خارجيًّا، وليس داخليًّا في القلب، حيث نذوق طعم ملكوت اللّه.

طبعًا إنّ مشاركتنا أسقفنا أو كاهننا بالصلاة عبر مشاهدة خدمة البثّ المباشر هو أمر مبارك. بيد أنّنا قد نجد من المفيد أحيانًا أن نقرأ نصّ الصلوات الجماعيّة

08-Frida Haddad-3-2021.qxp_Layout 1 9/29/21 8:34 PM Page 136

بمفردنا أو نستمع إليها تبثّ عبر الإنترنيت، إذ نطفىء الصورة التي على الشاشة ونحتفظ بالصوت ونقف مستقيمين ومصلّين أمام أيقونة، وننحني ونركع أمام الأيقونة في زاوية من البيت معطّرة بالبخور ومضاءة بشمعة.

خلال هذه المحنة التي تلقي بثقلها علينا، لا ننسى أبدًا أنّ ربّنا ومخلّصنا يسوع المسيح دائمًا معنا ولنا. لنتذكّر أيضًا أنّه علينا أن نبحث عنه بشغف إن أردنا أن ندرك حضوره المقدّس. ليكن نهج بحثنا عنه نهجًا نشطًا، وأن يكون تركيزنا منفردًا ومركزًا، وأن يكون تفانينا في البحث عنه ثابتًا. إنّ قضاء خمس عشرة دقيقة يوميًّا في الحوار مع اللّه يمكن أن يطلق تغييرًا مباركًا في الطريقة التي نفهم بها أنفسنا وننظر بها إلى العالم من حولنا.

يشعر الكثيرون منّا بالضيق بسبب عدم قدرتنا على تلقّي الأسرار المقدّسة أو الاحتفال بإقامة القدّاس الإلهيّ. وعوضًا من أن نرتّل في بيوتنا، «لقد جمعتنا نعمة الروح القدس معًا»، قد نشعر بالرغبة في ترداد كلمات المزمور: «كيف نرنّم ترنيمة الربّ في أرض غريبة؟» (مزمور ١٣٧: ٤). ومع ذلك، تقودنا نعمة الروح القدس برفق في المحنة التي نخوضها لننظر إلى أمثلة القدّيسين والنسّاك والمعترفين الذين لم يتعرّضوا لحرمان أكبر بكثير ممّا نتعرّض له نحن فحسب، بل تمكّنوا أيضًا من الخروج من هذه الضيقات جميعها بقداسة كبرى.

لا شكّ في أنّ الكثيرين يشعرون أنّ المسافة بين حياتنا وحياة هؤلاء القدّيسين واسعة جدًّا بحيث لا يمكن أن تكون مثالاً لنا ننهد للوصول إليه. لكنّ السبب في اتّساعها لا يكمن في اختلاف ظروف خارجيّة، بل بالحريّ في اختلاف أولويّات رصفناها في قلوبنا عمّا اكتنزوه هم في قلوبهم. إذا سعينا جاهدين إلى أن نبدّل أولويّات نفوسنا سوف ندرك بفرح أنّه يمكننا أن نكون في شركة عميقة مع المسيح في أيّة لحظة. إن تعلّمنا أن نقول من دون جهد: «لتكن مشيئتك» خلال هذه الفترة التي نمرّ بها ونستمرّ في عبادة ربّنا في كلّ ظرف يوفّره هو لنا، يمنحنا ربّنا حياة داخليّة أعمق.

لا توجد «قادوميّات» في طريقنا إلى الملكوت. والعلّيّة التي يدعونا إليها الربّ لنتناول فيها معه عشاء سرّيًّا تقع على قمّة سلّم مكوّن من حياة ناشطة من أعمال المحبّة ومن الصلاة الداخليّة.

إن أدركنا في أزمتنا الحاليّة أنّنا كنّا نضع كلّ التركيز في مسيرتنا الروحيّة على نزول الربّ إلينا وأنّنا أهملنا أن نجاهد لنصعد نحن إليه بالصلاة، نفهم إذ ذاك ما تركه لنا آباؤنا النسّاك إرثًا.

إن كنّا نرغب في الاقتراب من المسيح، فلا شيء يستطيع أن يعيقنا. بإمكاننا أن نرحّب بربّنا في أورشليم قلوبنا، حتّى لو ما عدنا قادرين على فعل ذلك في مباني كنائسنا. قوّة الروح القدس تجمعنا معًا في هياكل قلوبنا حتّى إن لم نتمكّن من رفع أيدينا في رعايانا. يمكننا أن نهتف في هياكل نفوسنا «أوصنا في الأعالي، مبارك الآتي باسم الربّ». وإذا فعلنا ذلك، فسنفرش دروب قلوبنا لاستقبال الربّ بسعف نخل ننسجها بكلّ أرواحنا، وبكلّ عقولنا وبكلّ قوّتنا، كما أعدّ القدّيسون دروب قلوبهم له. إذ ذاك يمنحنا ربّنا «الوديع الجالس على الجحش الصغير» تقديسًا لنفوسنا.■

09-Beirut-3-2021.qxp_Layout 1 9/29/21 8:34 PM Page 137

بيروت المحروسة باللّه

إعداد
لولو
صيبعة

في وقت القبول استجبتك، وفي يوم الخلاص أعنتك، فأحفظك هوذا على كفَيّ نقشتك. أنت أمامي دائمًا فيعلم كلّ بشر أنّي أنا الربّ مخلّصك.

بيروت الجميلة

حبّك أطيب من الخمر، أنت الأجمل بين المدن قاطبة، ما أجملك وأنت تستلقين على كتف البحر، جميلة أنت يا بيروت، قومي يا جميلتي وانهضي من بين الركام، فالحياة لا تليق إلّا بك.

في العاشر من تمّوز السنة ٥٥١م ضرب زلزال مدمّر بيروت هو الأقوى في تاريخها. كما تراجع البحر قرابة الميل عن الشاطىء وتحطّمت سفن عدّة، ثمّ عاد البحر إلى مكانه الأصليّ. بعد ذلك حاولوا قتلك أكثر من مرّة، لكن، لو عاودوا الكرّة سبعين مرّة سبع مرّات فهم لن ينالوا من جمالك. بيروت مهما قسا عليك الدهر

وجارت عليك الأيدي الآثمة ستبقين درّة الشرق وسحره وملتقى الأديان والثقافات، وباب الغرب إلى الشرق.

جذور بيروت ضاربة في القدم، وقد اكتسبت هذه المدينة أهمّيّة بالغة في العصر الرومانيّ حتّى قال عنها الأمبراطور يوستينيانوس إنّها مهد الشريعة والقانون، ومنح أساتذتها امتيازًا حصريًّا لتعليم الفقه الرومانيّ.

بيروت في عيون الرحّالة والمؤرّخين.

بيروت أو بيريتوس القديمة تستحقّ عن جدارة أن تكون عاصمة هذا البلد الجميل، الذي زيّن أرزه قصور روما ومعابدها. اشتهرت بيريتوس منذ القديم بتصدير الذرة والزيت وأفضل أنواع النبيذ، وكانت مرفأ يصل دمشق بالعالم، وهو المرفأ الوحيد الآمن والمجهّز من الإسكندريّة إلى إسكندرون.

بيروت المدينة الجديدة انبعثت من الرماد خلال سنوات معدودة، وتعرّفت إلى الحضارة الأوروبّيّة. رصفت طرقاتها وساحاتها وشيّدت المخازن الكبيرة والقصور الجميلة.

جولة في بيروت القديمة كما عرفها الرحّالة والمستشرقون، تبدأ مع مختار رأس بيروت كمال جرجي ربيز.

09-Beirut-3-2021.qxp_Layout 1 9/29/21 8:34 PM Page 138

«بيروت قديمًا بلدة صغيرة يحوط بها سور امتدّ من قلعتها القديمة في الشمال الشرقيّ إلى الجنوب الشرقيّ، غرب ساحة الشهداء عند مدخل سوق أبي النصر، وغربًا إلى محلّة السور بمحاذاة بناية العسيلي إلى تمثال اليازجي في الجنوب الغربيّ، وشمالاً إلى باب إدريس حتّى ميناء الخشب عند المرفأ القديم في الشمال الغربيّ. بمساحة طولها ٥٧٠ مترًا وعرض كيلومترين. السور ارتفاعه خمسة أمتار وسماكته أربعة أمتار مع أبراج فوق السور يستعملها الجنود للدفاع عن البلدة. لهذا السور ثمانية أبواب هي: الدبّاغة، السرايا، أبو النصر، الدركاه، يعقوب، إدريس، السنطيّة، السلسلة. ومن تقاليد الأبواب أنّ الأعيان كانوا مولجين بها ومكلّفين بنفقة مصباح يعلّق إلى جانب الباب الخارجيّ عشيّة النهار، ويقف الباب عند مغيب الشمس ويودع المفتاح عند متسلّم البلد حتّى الصباح.

حدود مدينة بيروت في العام ١٧٧١ كانت السور المقام حولها، ففي تلك السنة حضرت إلى بيروت سفن حربيّة روسيّة وأطلقت النيران على البلدة الصغيرة وعلى سورها فتهّدم جزء منه. وفي العام ١٨٤٠ تحالفت الدول الأوروبّيّة مع السلطان عبد المجيد لإخراج إبراهيم باشا من بلاد الشام واستخلاصها من يد والده محمّد علي باشا، فضربت سفن حربيّة إنكليزيّة ونمساويّة بيروت ضربًا عنيفًا فتهدّم السور بشكل كامل، فامتدّت المدينة وتوسّعت إلى رأس بيروت والأشرفيّة وازداد عدد السكّان»[1].

جيمس سيلك باكنغهام

وصف الرحّالة الإنكليزيّ جيمس سيلك باكنغهام بيروت عندما زارها في مطلع القرن التاسع عشر قائلاً: «الحدائق الغنّاء كثيرة وتتميّز بالترتيب والتنسيق وهي خير دليل على مدخل مدينة ثريّة[2]. هي مربّع غير متناسق يحوط بها سور من ثلاث جهات من جهة البحر، والجهة

١- رزق اللّه عهيديك الأيّام يا راس بيروت، كمال جرجي ربيز مختار رأس بيروت، ص.٢٩.

٢- James Silk Buckingham, Travels among the Arab tribes, London, ١٨٢٥.p , ٤٣٨

09-Beirut-3-2021.qxp_Layout 1 9/29/21 8:34 PM Page 139

بيروت المحروسة باللّه

إعداد لولو صيبعة

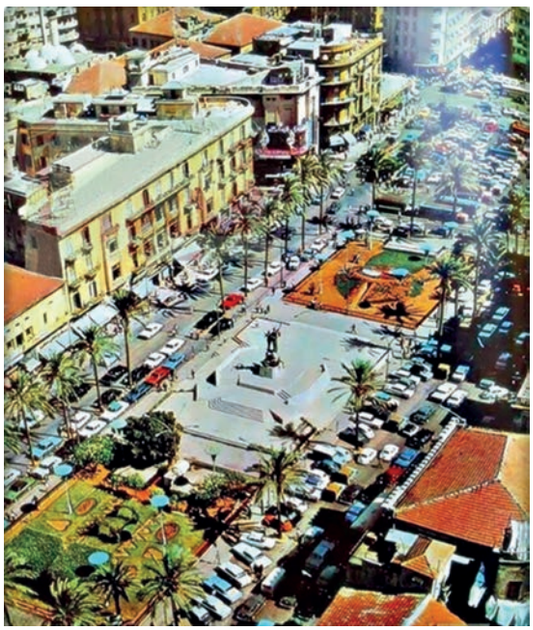

الرابعة مفتوحة على البحر. السور تركيّ الطراز والبناء وبالكاد يستطيع مقاومة المدفعيّة، يبلغ طوله نحو الميل ويحتضن ما يقارب ٧٠٠٠ إلى ٨٠٠٠ مواطن نصفهم من المسيحيّين من المذاهب المختلفة والنصف الثاني من المسلمين. يحكمها آغا هو في الوقت عينه مسؤول الجمارك، يعيش مع نحو عشرين موظّفًا، هم الأتراك الوحيدون في المدينة، في حين أنّ العسكر مؤلّف من المواطنين المحلّيّين، ويبلغ عدد الجنود نحو مئتين. وهناك بقرب البحر قصر قديم فيه ستّة مدافع هي كلّ ما يمكن تسميته معدّات عسكريّة وفيه مقرّ العسكر. هناك أيضًا برج مهدّم معروف ببرج البحر. إضافة إلى بعض الأبراج على السور. المارينو كما يسمّيه السكّان يشتمل على رصيف لتحميل البضائع. الأسواق والشوارع والأبنية السكنيّة والمحالّ التجاريّة في المدينة كلّها مبنيّة بشكل جيّد لم أجد له مثيلاً في المناطق الساحليّة التي زرتها. الشوارع واسعة تسمح بالمرور بسهولة من دون الاستعانة بالعربات، وكلّ الشوارع مرصوفة بالحجارة الكبيرة. تزخر الأسواق بالبضاعة الواردة من أوروبّا تضاف إليها الأنواع المختلفة من المؤن والبضائع. المنازل جميلة وفسيحة وحسنة البناء، وبعض المحالّ التجاريّة قرب الشاطئ شبيهة بتلك التي نجدها في موانئ بريطانيا».

أنطون دي ترويا

في السنة ١٤٤٢م، زار أنطون دي ترويا بيروت بمهمّة من الفاتيكان، ووصف المدينة في مدوّناته التي أوردها الأب هنري لامنس في كتابه «رحلة الأخ غريفون إلى جبل لبنان». وممّا كتبه دي ترويا في وصف سكّان بيروت في أواسط القرن الخامس عشر: «وفي أسواقها الضيّقة، وطرقها الملتوية، تزدحم الأقدام. فمن أصحاب العمائم، أو الكفاف الحريريّة، ومن لابسي البرانس البيضاء أو المضربيّات، ومن هو مدجّج بالأسلحة المطعّمة بالذهب والفضّة والنحاس بأشكال من النقوش البديعة... وكم من تاجر وأمير خطير يتعثّر بحمّال فقير. فيها التقت جميع اللغات، وتعارضت الألوان والأصوات: فمن الزنجيّ السودانيّ، إلى الشركسيّ الأبيض، ومن الروميّ النزق إلى البدويّ الشديد، ومن اليهوديّ الملتوي إلى الإسبانيّ المتغطرس، وقد اختلط بهم تجّار البندقيّة وجنوا وبيزا»[٣].

دو سان جيرمان

«شهدت التجارة في بيروت في ذلك الوقت، ازدهارًا أكثر من أيّ ميناء آخر، وكانت في تقدّم مستمرّ، كما

٣- مجلّة المشرق، السنة الأولى، ص ١٧.

09-Beirut-3-2021.qxp_Layout 1 9/29/21 8:34 PM Page 140

شكّلت مخزنًا لمدينة دمشق وللجوار. وفي عهد الأمويّين بيروت هي مرفأ دمشق Le principal port de Syrie. وكنت ترى في بعض الأحيان أكثر من سبعة وعشرين مركبًا، ويقول بعض السكّان إنّ هذا العدد قليل وهو يرتفع في بعض المواسم. ويقال إنّه في السنة الماضية رست ثلاث سفن آتية من مالطا ومحمّلة بالبضائع البريطانيّة من أقمشة قطنيّة وموسلين وملابس وبن وبهارات وغير ذلك بقيمة خمسين ألف دولار، وكلّها بيعت خلال خمسة أيّام. مناخ بيروت صحّيّ، فقربها من البحر والجبل في آن واحد يعطي الجوّ طراوة. حيثما تجوّلت في بيروت تجد آثارًا تشهد لعظمة هذه المدينة الرومانيّة، هنا أعمدة ضخمة من الغرانيت، وهناك بقايا أبنية قديمة، ويبدو واضحًا أنّ المدينة الحاليّة مبنيّة على مدينة أخرى».

«في صباح يوم جميل ودافئ وصلت إلى بيروت. من البدء أسرت هذه المدينة نظري. منظر المباني المرتفعة المتناظرة والتي تشبه مثيلاتها في أوروبّا، ولكن مع قباب ومآذن، وثكنة المدفعيّة المنتصبة على التلّة، ومبنى الكلّيّة الأميركيّة، الذي يضمّ مدرسة طبّيّة، وكنيسة الكبّوشيّين، مبان متعدّدة، رسميّة كانت أو خاصّة، ثكنات وفنادق ووكالات ومستودعات، كلّهم أعطوا المدينة مظهرًا يجعل منها ضرورة في هذا الشرق.

تعدّ بيروت واحدة من أكثر المدن التجاريّة في آسيا الصغرى، وأهمّها، بلا شكّ على ساحل سوريا، حيث يبلغ عدد سكّانها ثمانين ألف نسمة. ترى المدينة وكأنّها تنحني باتّجاه البحر، مع بيوتها العديدة وقبابها وشرفاتها، وقناطرها، وفيلّاتها المتألّقة ببياضها، أو اللامعة بالألوان المبهرة، والمتوّجة بأشجار الصنوبر العملاقة، فتبدو وكأنّها امرأة مغناج تذهب إلى الشاطئ لتظهر مفاتنها، وتتأمّل موجات البحر اللازورديّة.

من النظرة الأولى إلى المدينة، وبفضل الطرقات التي تتلاقى هنا، نرى كم ازدهرت حركة التجارة

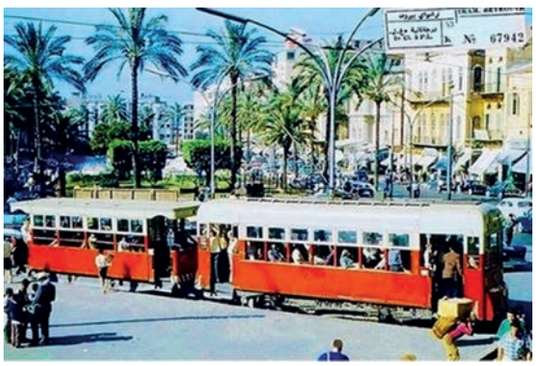

والصناعة في ظلّ تلاق كبير بين الأعراق المتنوّعة. هنا تقابل الموارنة مع الدروز والمسلمين العرب إلى جانب الأتراك واليونانيّين والأرمن. كلّهم يعيشون هنا وينشطون في أعمالهم وكأنّ المدينة تحوّلت إلى بابل للغات والأزياء.

ورغم أنّ شوارع بيروت ضيّقة وقصيرة والاهتمام بها قليل، إلّا أنّ المنازل غالبًا ما تخبّىء خلف جدرانها أكثر ما يمكن للخيال العربيّ من أن يبدعه... توجد دهاليز أرضيّاتها من ألواح رخام ملوّن، بتصميمات عجيبة، أمّا الجدران فهي مزيّنة بلوحات وزخارف وأحيانًا مطعّمة بأرابيسك؛ وهناك غرف مصمّمة بشكل نضر، فيها مجالس وهناك الأركيلة المصنوعة من الكريستال والمزيّنة بنقوش فضّيّة في دلالة على ذوق رفيع وصناعة رائعة. باختصار، كلّ مظهر الثروة، معزّز

09-Beirut-3-2021.qxp_Layout 1 9/29/21 8:34 PM Page 141

بيروت المحروسة باللّه

إعداد لولو صيبعة

بتفاصيل من الفخامة الشرقيّة، لم أكن لأجد مثله»[٤].

ريتشارد كورتامبير[٥]

يقول ريتشارد كورتامبير عند وصوله الى ميناء بيروت: «ندخل إلى مرفأ بيروت، المدينة البحريّة المهمّة الوحيدة في سوريا التي تشبه سلطانة تتّكئ على وسادة خضراء وتحدّق في الأمواج، وتغرق في غموضها الحالم. لقد وجدت، في جوهرها النقيّ الأصيل وطابعها الشرقيّ، أنّ هناك شخصيّة في مظهرها، تمزج بين اللامبالاة والنعاس الفكريّ، بطريقة ماكرة وتفتقد إلى الثقة، ووجدت معنى ضعيفًا أو رهيبًا في تلك العيون السوداء، ووقاحة في هذه الخطوات الجادّة، ووجدت الفخر حتّى في هذه الأزياء الخشنة!... فكم هو عظيم هذا الانحلال، وهذا الجلال المظلم في هذا الخراب. في الأوقات العاديّة، سكّان بيروت هم تلخيص لمجمل سكّان سوريا، أتراك ودروز وموارنة، يهود ومتاولة، عرب وأرمن ويونانيّون، ولا ننسى الأوروبّيّين الغربيّين، المنغمسين في أعمالهم المحلّيّة. نجد هنا تجّار دمشق وحلب، والحجّاج المتّجهين إلى مكّة أو إلى القدس، وهم يعبرون مع بعضهم بعضًا، وتصطفّ على جوانب الشوارع المتاجر الصغيرة حيث يقف اليهود والمسلمون بلا حراك في وسط بضائعهم. وهنا أيضًا كما هو الحال في لوحات الفنّان ديكامب رجل تركيّ يدخّن في غليونه الطويل، غير مهتمّ بالزبائن ويجلس مرتاحًا بين رزم البالات والجرار، وإلى جانبه، بعض التجّار الذين يتناقشون بحدّة، وعلو أصواتهم غير قادر على إزعاج هدوء هذا التركيّ العجوز. هنا أيضًا، يمشي الحمّالون منحنين تحت أثقالهم، والنساء المحجّبات يعبرن بخطى بطيئة، ثمّ يغرقن في ظلمة الأقبية المؤدّية إلى منازلهنّ، وتمرّ الجمال المحمّلة بالأقمشة يقودها عرب بوجوههم القاسية وبشرتهم المحروقة من أشعة الشمس.

ومن بعيد، أسمع موسيقى تصدر عن مزامير وطبول

٤- L`Orient – A vol d`oiseau، صدر في العام ١٩٠٢ لمؤلّفه H. De Saint Germain الذي قام بجولة كبيرة شملت بلدانًا عديدة في شرق المتوسّط ، كانت تستظلّ براية الدولة العثمانيّة. وهذا ممّا كتبه صاحبه أثناء مروره في بيروت.

٥- ريشار كورتامبير (Richard Cortambert) كاتب وجغرافي فرنسيّ نشر كتبًا عدّة عن السفر والرحلات وأخبار الشعوب وكتب مقالات كثيرة في أشهر المجلّات الفرنسيّة في زمانه، وهو واحد من الرحّالة الأوروبّيّين الذين زاروا الشرق في القرن التاسع عشر، فوصل الى بيروت بحرًا في ٣٠ حزيران من العام ١٨٦٠ ، في وقت حرج وخطير، أي في زمن الفتنة التي عصفت بمناطق واسعة في جبال لبنان وأحياء دمشق، وسقط فيها ألوف الضحايا وهدمت وأحرقت في أتونها مئات القرى والأحياء، قال في كتابه عن بيروت والذي Aventures d'Un Artiste dans Le Liban صدر في العام ١٨٦٤.

09-Beirut-3-2021.qxp_Layout 1 9/29/21 8:34 PM Page 142

الفرق العسكريّة، واسمع أيضًا، أصوات المؤذّنين العالية التي تصدح خمس مرّات في اليوم، تدعو بغرابة ومهابة المسلمين إلى الصلاة».

أندريه غيجر

ويصف أندريه غيجر بيروت عندما زارها في العام ١٩٣٢ فيقول «عند حواف الأمواج، صخور رأس بيروت الحمراء، ورأس كان في يوم ما محصّنًا، وشريط ذهبيّ من الرمال، أمّا المدينة فتغتسل بالمياه التي تداعبها، وتنتشر أحياؤها على التلال، وكتلة العمران فيها مزيّنة بقباب المساجد ومآذنها، وأجراس الكنائس. وهناك المستشفيات والأديرة، والجامعات التي تضفي بساطتها على أماكن وجودها بين المنازل والفيلات،

وهذه البقع الحمراء المتنوّعة، والسقوف المربّعة، وممرّات البلاط، والجدران البيضاء والورديّة المثقوبة بشرفات مغطّاة وسط الرياض الخضراء والحدائق ومجموعات أشجار السرو السوداء. الهواء فيها ذو نقاوة مثاليّة، ووئام الألوان لا يختلط بأيّ دخان أو ضباب، ولا يوجد شيء آخر غير السحر»[٦].

جيمس لويس فارلي

جيمس لويس فارلي، مصرفيّ وديبلوماسيّ إيرلنديّ، عاش في بيروت بين ١٨٥٦و١٨٥٨ وكتب عنها فقال: «قلّة قليلة من الناس، تعرف أيّ شيء عن بيروت، وهي مكان، ينضح جمالاً خلّابًا لا مثيل له في سوريا، مثلما يتفوّق على كلّ ما عداه في الأهمّيّة التجاريّة. هي «بيروت الجميلة»، وجمالها «ليس فقط شريط ذاكرة، مغمور بألف معنى عميق ومشعّ بألوان مشرقة، يجعل منها أرقى مناطق

الأرض، بل عبر الإقامة داخل أسوارها، حيث الواقع يضاهي خيالاً أكثر الصور التي قد تخطر على بال. وليس فقط المشهد الرائع، حيث الجبل بطيّاته المخمليّة، وشلّالاته التي تشبه الخيوط الفضّيّة، والقمم التي تعلوها الثلوج. وليس فقط الشواطئ الذهبيّة، والحدائق الغنيّة التي تمتدّ وراء أسوارها الشاهقة، والقرى ذات الهواء المنعش والمشاهد الرومانسيّة مع حظائر دود القز. وليس

٦- André Geiger, Syrie et Liban, édition Arthaud, ١٩٣٢

09-Beirut-3-2021.qxp_Layout 1 9/29/21 8:34 PM Page 143

بيروت المحروسة باللّه

إعداد لولو صيبعة

فقط البحر الأرجوانيّ والسماء الورديّة. وليست كلّ هذه فقط تزيّن بيروت القديمة بمثل هذا المجد. لا يوجد مكان ستجد فيه منظرًا أكثر روعة ممّا تراه العين ونحن نقترب من بيروت، ومن مكانك في البحر، ترى قمم

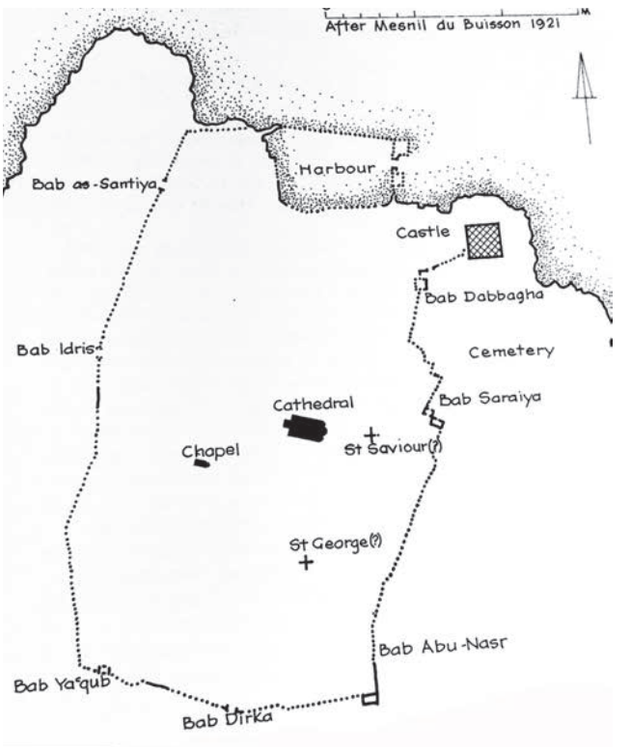

جبل لبنان مرتفعة عالية، تلمع تحت ضوء الشمس، وتحوط بها خطوط عريضة من التلال المتموّجة، فيبدو المشهد وكأنّ جزيرة خرافيّة تطفو في السماء. عند الاقتراب من شواطئ معظم البلدان لن تجد شيئًا يستحقّ رؤيته، أمّا هنا فسترى مشهدًا طبيعيًّا رائعًا يستحيل أن تتخيّله أو تعثر على شبيه له في مكان آخر. وبينما تواصل السفينة الاقتراب من الساحل يتوسّع المشهد، ويكشف عن سحره، حيث ترى البيوت تتناثر فوق السهل الذي يمتدّ بين البحر والجبل، وتتألّق تحت أشعّة الشمس في وسط الأشجار التي تحوط بها، ويأتي النسيم من البرّ محمّلاً بروائح بساتين البرتقال. أنت الآن في خليج بيروت، حيث يمتدّ نتوء جبليّ طويل في البحر، وهناك في البعيد سترى أبراج المدينة ومآذنها، ومن خلفها تظهر قمّة جبل صنّين المغطّاة بالثلوج. تستحقّ بيروت أن تكون عاصمة هذا البلد الجميل، فهي تمتدّ نزولاً إلى الشاطئ، وتنزل عبر منحدر لطيف لتلّ ساحر، فيما رأسها في الغيوم، وقدماها في مياه البحر، وكأنّها سلطانة ساحرة تتّكئ برشاقة على وسادة من المخمل الأخضر، تشاهد الأمواج بلا مبالاة وكسل حالم. شرفات بيروت مليئة بالزهور وبيوتها بأقواسها النحيفة وسقوفها المسطّحة،

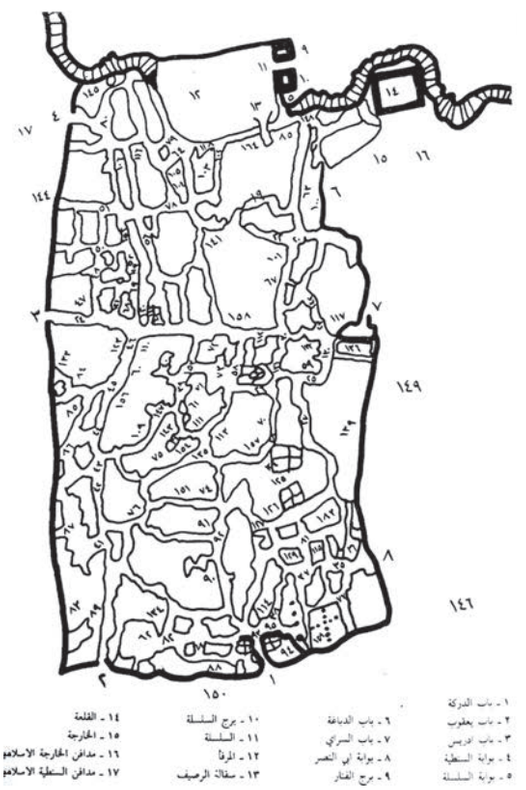

09-Beirut-3-2021.qxp_Layout 1 9/29/21 8:34 PM Page 144

تعلوها كوّات من الحجر أو درابزينات من الخشب، وهناك بساتين أشجار التوت الأبيض المنتشرة حول جوانبها؛ وأشجار النخيل المحلّقة نحو السماء، والألوان الحيّة لجدرانها المطليّة باللون الأحمر أو الأزرق، ومآذن مساجدها، وجوّها الهادئ والمشرق دائمًا وسماؤها الصافية والمفتوحة، ليندمج كلّ هذا في لوحة واحدة كبيرة وجذّابة»[٧].

سور بيروت

يذكر المؤرّخون أنّ بيروت عاشت لقرون داخل سورها الذي هدم وأعيد بناؤه مرات عديدة، وكان طول السور ٧٥٠ مترًا وعرضه ٣٧٠ مترًا، وكانت المدينة تقع بين ساحة البرج وساحة رياض الصلح. ولم تكن أسوار بيروت منتظمة ولا مستقيمة، ومع ذلك عرفت المدينة عند بعض المؤرّخين بالمدينة المربعة.

يرد ذكر سور بيروت في معظم المؤلّفات التاريخيّة القديمة وبعض لوحات الرسومات الفنّيّة لرحّالة ورسّامين أوروبّيين بخاصّة من فنّاني المدرستين الفرنسيّة والإنكليزيّة، وبعض الصور الفوتوغرافيّة القديمة.

ولا يوجد مصدر يحدّد تاريخ إنشاء السور ولكنّ معظم الباحثين يرون أنّه تأسّس مع تأسيس المدينة خلال العصرين الكنعانيّ والحثّيّ، ويرجّحون أنّ ارتفاعه كان خمسة أمتار وسماكته أربعة أمتار عند القاعدة وثلاثة أمتار عند القمّة. مبنيّ من حجر المدينة الرمليّ. وقد وصف العالم الفرنسيّ الكونت دومنيل دو بويسون سور بيروت وأبوابها في رسالة سمّاها «استحكامات بيروت وتحصيناتها القديمة» رسم فيها مخطّطًا للسور السنة ١٨٣١م تبدو معه بيروت مدينة شبه مربّعة.

كان سور بيروت القديمة وقلعتها وحصنها خطّ

٧- Two years in Syria, James Lewis Farley, ١٨٥٨

09-Beirut-3-2021.qxp_Layout 1 9/29/21 8:34 PM Page 145

بيروت المحروسة باللّه

إعداد لولو صيبعة

الدفاع المنيع عن المدينة، ولكن مع خروج إبراهيم باشا وجيشه منها السنة ١٨٤٠ أخذ السور يتهاوى ويتداعى في أكثر نقاطه، وكانت بقايا أبوابه ما تزال ظاهرة للعيان في مطلع عهد الانتداب كباب يعقوب وباب السراي وباب الدركة. كان سور بيروت يمتدّ من شمال ساحة رياض

الصلح حيث مبنى البنك العربيّ اليوم، إلى الشرق حتّى كنيسة مار جرجس المارونيّة، ثمّ يمتدّ جنوبًا إلى سوق أبي النصر الذي كان خارج السور، حتّى بناية دعبول تجاه جامع السراي (جامع الأمير منصور عسّاف)، ثمّ ينحدر شمالاً حتّى آخر شارع فوش عند المرفأ، ويمتدّ غربًا حتّى جامع المجيديّة، ثمّ يعود فيمتدّ بمحاذاة جامع المجيديّة إلى الغرب من زاوية الإمام الأوزاعيّ على مدخل سوق الطويلة، ثمّ إلى كنيسة الكبّوشيّة (وكانت خارج السور) إلى أن ينتهي عند ساحة رياض الصلح.

هنري غيز

وصف قنصل فرنسا هنري غيز في لبنان بيوت بيروت في مطلع القرن فقال: «واجهات البيوت مبنيّة على الغالب بحجر غير منحوت، وأخذت الأيّام على عاتقها تلوينها، يعاونها في ذلك المطر والدخان والغبار، ولمّا كانت الأخشاب أيضًا تستعمل كما أوجدتها الطبيعة، أي بلا صقل، فالأبواب والنوافذ، تكون في أغلب الأحيان من لون الجدران. يجب ألّا نحسن الظنّ بتنسيق البيوت وترتيبها، فعلى من يريد الدخول إليها أن يحني رأسه قليلاً أو كثيرًا تبعًا لقامته، وإذا أراد أن يطلّ من النافذة أن يزجّ جسمه بانحراف إذا كانت بدانته تفوق المعدّل قليلاً، فعلوّ الشبابيك على الأكثر متر واحد، وعرضها ٧٥ سنتيمترًا، ويفصل بينهما حاجز صغير، وهذا التدبير الذي يلجأون إليه ضروريّ لحماية الصغار، إذ إنّ هذه الشبابيك تقوم

09-Beirut-3-2021.qxp_Layout 1 9/29/21 8:34 PM Page 146

على ارتفاع ١٥ سنتم من أرض البيت. ومنذ مدة ليست بالبعيدة كاد الزجاج يكون غير معروف في بيروت، أمّا الآن فإنّنا صرنا نجده في منازل الأغنياء».

وتصف مواطنة فرنسيّة تدعى بوجولا بيوت بيروت فتقول: «إنّ منازل بيروت المبنيّة بالحجارة، عالية أكثر منها في أيّة مدينة من مدن سوريا، فقبابها وسراديبها السرّيّة وممرّاتها المظلمة وشوارعها الضيّقة والملتوية تبعث لأوّل وهلة نوعًا من الهلع في نفس السائح الذي يريد أن يطوف في أنحائها. إنّ كلّ بيت يؤلّف مخبأ لا يقتحم، ويمكن القول إنّ كلّ واحد منها يصلح لأن يكون مركز دفاع».

حياة البيروتيّين

جاء في قصص سلام الراسي «زوايا خبايا، سلسلة الأدب الشعبي»: معروف أنّ اللبنانيّين في الماضي حتّى مطلع القرن العشرين كانوا يستعملون غالات خشبيّة لأبواب بيوتهم، وحتّى مفاتيح هذه الغالات كانت من الخشب أيضًا، ولم تكن هناك نوافذ زجاجيّة للبيوت، والباب هو المنفذ الوحيد لا يغلق إلّا عندما يأوي جميع أفراد البيت فينجر الرجل بابه وينام، وهكذا يقال (من الفجر للنجر)».

وعن أشجار بيروت قال سلام الراسي «في ذلك الزمان كانت الجمّيزة صديقة البيروتيّ، كلّ بيت في بيروت أمامه شجرة جمّيز يلعب تحتها الأولاد، وتجلس على مصطبتها كلّ مساء نساء العائلة يدخّنّ الأراكيل، يمضغن المسك ويشربن البيلسان والبابونج، بينما يصعد ربّ العائلة إلى عرزاله المشدود في قلب الشجرة فينام فيه سيّدًا رفيع الجانب». إلّا أنّ محمد علي باشا أمر بقطع أشجار الجمّيز لحاجته إلى جذوعها الخشبيّة، فاختفت من التراث البيروتيّ ولم يبق لها ذكر إلّا في تسمية حيّ الجمّيزة.

ملابس البيروتيّين

ويذكر المؤرّخ كريمسكي في كتابه «بيروت وجبل لبنان على مشارف القرن العشرين» ما يلي: «كانت أزياء الرجال والنساء غريبة تليق بالمراسم منها بالبيوت، تشبه ملابس الأكراد، بعمائمها، وسراويلها، وقنابيزها المفقّشة، وكان الرجال يلبسون القميص على أبدانهم، ثمّ السروال القطنيّ المصبوع، والمنتيان[٨]، ثمّ يعتمرون العمّة ويتباهون بحجمها، ويحتذون المداس من السختيان[٩] الأحمر». أمّا النساء فيصف كريمسكي لباسهنّ على الشكل التالي: «كنّ يلبسن القميص الطويل والقمباز المفقّش ويضعن على رؤوسهنّ الربطات الكبيرة أو القرص. وشاع الطنطور في لبنان وهو قرن مخروطيّ الشكل وكان يوضع فوق الرأس ويأتي فوقه الشنبير فيغطّيه ويسدل إلى الرأس كاسيًا معظم البدن».

وفي الختام نذكر أنّ إنارة بيروت بمصابيح الغاز تمّت في العام ١٨٨٧ وذلك بموجب اتّفاق عقدته بلديّة بيروت مع إحدى الشركات يتضمّن ٥٠٠ قنديل لإنارة المدينة، وأن تدفع لها البلديّة لقاء ذلك ألفي ليرة عثمانيّة، فمتى ستعود الأنوار إلى المدينة التي لا تنام؟■

٨-الصدريّة التي تلبس داخل الغنباز.
٩- جلد الماعز أو الخروف المدبوغ.

10-Iskandaer Kfoury-2-2021.qxp_Layout 1 9/29/21 8:35 PM Page 147

المدارس المسكوبيّة

د. إسكندر
كفوري

قلّة قليلة من معاصرينا في لبنان وروسيا، تعرف عن تاريخ عمل المدارس الروسيّة (المسكوبيّة) في لبنان، سورية وفلسطين؛ والبعض حتّى لم يسمع بها، رغم الأهمّيّة الكبرى التي شكّلتها في الحياة اللبنانيّة والسوريّة والفلسطينيّة، عبر تنشئة أجيال جديدة مثقّفة واعدة عشيّة القرن العشرين.

المدارس المسكوبيّة هي المدارس التي أطلقتها الجمعيّة الأمبراطوريّة الأرثوذكسيّة الفلسطينيّة بمرسوم من القيصر الروسيّ ألكسندر الثالث، لتعليم الأطفال والفتية اللبنانيّين والفلسطينيّين والسوريّين، ونشر المعرفة بين أفراد هذه الشعوب الذين لم يكن بوسعهم ارتياد مدارس الإرساليّات الغربيّة. في لبنان، افتتحت أوّل مدرسة مسكوبيّة في العاصمة بيروت في ٢٢ أيلول العام ١٨٨٧ بإشراف القنصل الروسيّ العامّ قسطنطين بيتكوفيتش.

بلغ عدد هذه المدارس على أراضي لبنان وسورية وفلسطين ١١٤ مدرسة، منها ٤٢ مدرسة في لبنان وحده، تخرّج منها أكثر من ١٥ ألف طالب من الدول الثلاث. انتشرت هذه المدارس على كامل الجغرافيا اللبنانيّة والسوريّة والفلسطينيّة، فكانت تتركّز بشكل أساس في المدن والقرى التي يغلب عليها وجود الطائفة المسيحيّة الأرثوذكسيّة، ابتداء من بيروت إلى مرجعيون في أقصى الجنوب وراشيّا الفخّار وحتّى طرابلس في الشمال والكورة وعكّار وصولاً إلى مدينة زحلة في البقاع ومشغره وراشيّا الوادي، وبالطبع مرورًا بالجبل من سوق الغرب والشويفات والحدث إلى بسكنتا وبتغرين.

الراعي الرسميّ للمدارس المسكوبيّة هي الجمعيّة الأمبراطوريّة الأرثوذكسيّة الفلسطينيّة التي أشرفت عليها بشكل مباشر، إضافة إلى الكنيستين الأرثوذكسيّة الروسيّة والأرثوذكسيّة الأنطاكيّة. أوّل رئيس للجمعيّة التي كانت تدير هذه المدارس هو الدوق الأكبر سيرغي ألكسندروفيتش عمّ القيصر نقولا الثاني. أمّا رؤساؤها

مدرسة أميون

10-Iskandaer Kfoury-2-2021.qxp_Layout 1 9/29/21 8:35 PM Page 148

الفخريّون فكثر، وهم دائمًا من القياصرة ومن أعضاء السلالة الحاكمة، فيما تمويلها المباشر كان من خزينة القيصر ومن تبرّعات المؤمنين في الكنائس الأرثوذكسيّة الروسيّة. كان يشرف عليها اختصاصيّون وأساتذة من روسيا ومن لبنان وفلسطين وسورية، أمّا تلامذتها فكانوا بغالبيّتهم من أبناء الفقراء في المذهب الأرثوذكسيّ ومن مذاهب أخرى مسيحيّة وإسلاميّة.

مدرسة السيّدة في بيروت

بتوجيه من الدوق الأكبر سيرغي ألكسندروفيتش اتّبعت هذه المدارس في نهجها هدفًا إنسانيًّا وأخلاقيًّا، إذ أخذت على عاتقها تعليم الأطفال من دون أن تعرف التمييز أو التفرقة، فضمّت في صفوفها إلى جانب التلامذة الأرثوذكس، تلامذة مسلمين ودروزًا. وقام المرشدون والمدرّسون العرب والروس بعمل كبير لتطوير البرامج والمناهج لتتلاءم ومتطلّبات أبناء المنطقة. وتحلّت هذه المدارس بالانضباط التامّ والتقيّد بقواعد الأخلاق العامّة والاحترام، ولم يكن يسمح للتلامذة إلّا بالسير مرفوعي الرؤوس وبشكل مستقيم، كما كان الالتزام بالنظافة والترتيب أمرًا أساسيًّا، واستعملت مناهج جديدة تجريبيّة في تلقين التلامذة. أمّا مواد التدريس فكانت باللغة العربيّة على خلاف الإرساليّات الأجنبيّة التي تجاهلت كلّيًّا لغة السكّان المحلّيّين أي اللغة العربيّة، كما كانت هناك حصص باللغة الروسيّة ودروس بالرياضيّات والعلوم والتاريخ والجغرافيا والرسم والموسيقى وغيرها. أعطى

المطران غفرائيل (شاتيلا) مع كاهنين

السكّان المحلّيّون الأفضليّة للمدارس الروسيّة، لأنّ أساتذتها تمتّعوا بكفاءة عالية مشهودة وبرامجها شهدت تطوّرًا خلّاقًا ومستمرًّا، كما أنّ التعليم فيها كان مجّانيًّا بالكامل، في حين شكّل التعليم في الإرساليّات الأجنبيّة الغربيّة عبئًا على الأهالي من حيث التكاليف الماليّة، ومنع منعًا باتًّا في المدارس المسكوبيّة استيفاء أيّة رسوم سواء أكان التلامذة من الفقراء أو الأغنياء. وطوال فترة التعليم تلقّى تلامذة المدارس المسكوبيّة الأقلام والكتب والدفاتر وكلّ حاجيّاتهم وحتّى الزيّ المدرسيّ مجّانًا. ولذلك فإنّ ارتباط السكّان المحلّيّين بهذه المدارس كان وثيقًا وارتكز على المحبّة والتعاون الوثيق المستمرّ.

حقّقت المدارس المسكوبيّة نجاحات باهرة في

10-Iskandaer Kfoury-2-2021.qxp_Layout 1 9/29/21 8:35 PM Page 149

المدارس «المسكوبيّة»

د. إسكندر كفوري

منطقتنا، وأكبر دليل التوسّع المتزايد بأعدادها وانتشارها إلى حدّ أن وصل بمرشديها إلى التفكير في افتتاح جامعة روسيّة في بيروت صيف العام ١٩١٣. تركت هذه المدارس تأثيرًا مباشرًا في تعليم عدد كبير لا يستهان به من أبناء البلاد على عتبة القرن العشرين، تجاوز خمسة عشر ألف خرّيج، وهو رقم كبير نسبيًّا ويعتدّ به بالنسبة إلى عدد السكّان حينها. وأرسلت العديد من خرّيجيها لمتابعة دراستهم العليا في روسيا، كما شكّلت تلك المدارس منارة علم ووعي وأحدثت نقلت نوعيّة في المعرفة والتعليم. وجّهت هذه المدارس نشاطاتها بشكل أساس إلى مجتمعات الطائفة المسيحيّة الأرثوذكسيّة في الدول العربيّة الثلاث الآنفة الذكر مع عدم تمييزها بين الطلّاب، فاستقبلت أعدادًا كبيرة أيضًا من التلامذة المسلمين والدروز، وكانت قدوة في تثقيف الأجيال الطالعة على المحبّة وعدم التفرقة.

وفّرت المدارس المسكوبيّة العديد من المزايا لتلامذتها فلم تفرض أيّة رسوم على التلامذة على عكس الإرساليّات الغربيّة، ومن مزاياها إعطاء الدروس باللغة العربيّة. وجرى تعريب المناهج وبرامج التعليم وهذه ميزة لم تكن تتوفّر في مدارس الإرساليّات الأخرى، ووفّرت المساعدة الشاملة للتلامذة على التعلّم فضلاً عن تأمين العناية الطبيّة مجّانًا.

توقّفت هذه المدارس عن العمل بعيد اندلاع الثورة الاشتراكيّة في روسيا العام ١٩١٧، وأيضًا بسبب اندلاع الحرب العالميّة الأولى. وشنّت السلطات العثمانيّة المحتلّة لبلادنا حربًا شعواء على هذه المدارس لإغلاقها، بخاصّة وأنّ روسيا وتركيا كانتا على طرفي نقيض في الأحلاف المتنازعة في الحرب العالميّة الأولى.

شكّلت المدارس المسكوبيّة أهمّيّة كبرى في التطوّر التعليميّ والتنشئة العلميّة في لبنان وسورية وفلسطين، وساهمت مساهمة كبيرة في تعليم أجيال نهاية القرن التاسع عشر مطلع العشرين في بلادنا، كما قدّمت نموذجًا يحتذى به في الأخلاق والتسامح والمعرفة والتضحية والمساعدة، ترك أثره طويلاً في مجتمعنا.

المدارس المسكوبيّة، عدا أنّها كانت رافعة علميّة، فهي كانت أيضًا منبرًا للتواصل والتعاون بين لبنان وسورية وفلسطين من جهة وروسيا من جهة أخرى، وعزّزت عرى العلاقات الصادقة بين منطقتنا وروسيا وشعوب هذه

معلّمات في زي موحّد

المنطقة والشعب الروسيّ، الذي كان يجمع (فلس الأرملة) من كنائسه ليرسله إلى بلادنا من أجل مساعدة أبنائنا على التعلّم والتطوّر.

رغم طيّ صفحة هذه المدارس، إلاّ أنّنا نؤكّد أهمّيّة ما قدّمته لبلادنا في حقبة مصيريّة، ونتطلّع إلى مواصلة هذا التعاون المثمر بين شعوبنا، في وقت أصبحنا فيه أحوج ما نكون إلى مثل هذه الربط التي لا تدخلها أيّة مصالح ونيّات مغرضة.

10-Iskandaer Kfoury-2-2021.qxp_Layout 1 9/29/21 8:35 PM Page 150

توزّع المدارس الروسيّة (المسكوبيّة) في لبنان حسب إحصاءات العام ١٩١٢ (وفق التقسيم الإداريّ الحاليّ)

قضاء بيروت:

المحلّة	عدد التلامذة
المصيطبه	٣٦٠
المزرعه	١٥٦
رأس بيروت	٦٨
الرميل الأشرفيّه	٣١٠
الرميل (٢)	١٥٧

الجنوب:

البلدة	عدد التلامذة
عيتا الفخّار	١٩٩
جديدة مرجعيون	٢٨٢
راشيّا الفخّار	١٦٧
صور	٩٣
حاصبيّا	١٨١

الشمال:

المدينة أو البلدة	عدد التلامذة
طرابلس	٣٠١
الميناء	٤٦٥
أميون (الكوره)	٢٢٧
كوسبا (الكوره)	٢٦٠
دوما (البترون)	٢٥٨
بينو (عكار)	٢١٢

الشمال:

المدينة أو البلدة	عدد التلامذة
دير دلوم (عكّار)	٤٩
جبرايل (عكّار)	٩١
منياره (عكّار)	١٥٥
رحبه (عكّار)	١٨٢
الحاكور (عكّار)	٦٥

جبل لبنان:

البلدة	عدد التلامذة
الحدث	١٢٤
بسكنتا	١٠٨
سوق الغرب	١٤١
بتغرين	٢٦٦
الشويفات	٢٣٠

البقاع:

البلدة	عدد التلامذة
زحله	١١٣
المعلّقة	١٧٣
الكفير	١٦٠
راشيّا الوادي	٢٢٦
مشغره	٦٣

ملاحظة: عدد المدارس في لبنان كان ٤٢ مدرسة وفي الجدول كما يتبيّن هناك ٣١ مدرسة، ولكنّ بعض المدن والبلدات ضمّت أكثر من مدرسة، ففي المصيطبه على سبيل المثال كانت هناك مدرستان واحدة للبنات وأخرى للصبيان بعد تشييد مبنى خاصّ لهم في العام ١٩٠٧.■

11-Nada wazen-3-2021.qxp_Layout 1 9/29/21 8:35 PM Page 151

النحل والعسل في المسيحيّة

ندى وازن
صبحيّة

ترد عبارتا «النحل» و«العسل» مرّات عديدة في الكتاب المقدّس، فما هو دورهما؟ وهل اكتسبا فيه الأهمّيّة التي أولتهما إيّاها الشعوب القديمة؟ وكيف نظرت المسيحيّة إلى النحل وإلى تربيته؟

النحل عند الشعوب القديمة

١-بلاد ما بين النهرين

كان النحل يُعرف باسم «لال/ lal»، وكان له نوع من التقديس إذ كانت نحلة العسل تُمثّل أحد الرموز الدينيّة. وأوّل كتابات حول النحل والعسل في هذه المنطقة كتبها السومريّون على ألواحٍ يعود عمرها إلى ٤٠٠٠ ق.م. كذلك كان العسل من الأغذية المهمّة التي كانت تُقدم قربانًا للآلهة في بعض الطقوس العباديّة.

٢-مصر

اعتبر المصريّون القدماء النحل مقدّسًا لأنّه هديّة من الإله «رع» (إله الشمس)، وقد صُنع من دموعه كما ورد في إحدى الأساطير: «حين يبكي «رع»، فإنّ دموعه التي تنساب على الأرض تتحوّل إلى نحل، فيعمل النحل في الزهور والأشجار، من كلّ نوع، ويُنتج الشمع والعسل»[1].

١- Papyrus salt-124

استخدم قدماء المصريّين إذًا هذه الأسطورة لتفسير كيفيّة مجيء النحل والعسل إلى العالم. وكانوا يؤمنون بأنّ نحل العسل صديق الإنسان ومساعده في طرد الأرواح الشريرة. من هنا نجد على مقابر الفراعنة (٣٢٠٠ - ٢٧٨٠ ق.م) العديد من رسومات النحل، كما تزيّن العديدَ من معابدهم لوحاتٌ تبيّن عمليّة تربية النحل وجني العسل وتخزينه.

٣- كنعان

اشتهرت كنعان بالعسل منذ الأزمنة القديمة إذ يُسجّل تحتمس الثالث فرعون مصر (١٤٨٣-١٤٥٠ ق.م.) أنّه أحضر المئات من جرار العسل التي أخذها جزية من أرض كنعان. كما يذكر «سنوحى» الرحّالة المصريّ -في عهد الأسرة الثانية عشرة (نحو ١٩٥٠ ق.م.)- عن هذه الأرض أنّ «عسلها كثير وزيتونها وفير». بالإضافة إلى ذلك توصف أرض كنعان في كتابات أوغاريت بأنّها البلاد التي تقطر سمواتها زيتًا، وتفيض أخاديدها عسلاً. وأفاد العلماء أنّ خلايا النحل المكتشفة مؤخّرًا تدلّ على تربية النحل في كنعان قبل ٣٠٠٠ عام.

النحل والعسل في الكتاب المقدّس

١-العهد القديم

ليس للنحل في العهد القديم أيّ رمزيّة دينيّة، كما أنّه

11-Nada wazen-3-2021.qxp_Layout 1 9/29/21 8:35 PM Page 152

يظهر مخيفًا أكثر منه نافعًا، فهو يمثّل صورة العدو:

في الحديث عن الأمّوريّين الذين هاجموا الشعب العبريّ وطردوه:

تثنية١: ٤٤: «فخرج الأموريّون الساكنون في ذلك الجبل للقائكم وطردوكم كما يفعل النحل، وكسروكم في سعير إلى حُرمَة».

في الإعلان عن اجتياح يهوذا:

أشعياء٧: ١٨: «ويكون في ذلك اليوم أنّ الربّ يصفر للذباب الذي في تُرع مصر، وللنحل الذي في أرض أشور...»

في تشبيه الأعداء الذين يهدّدون الشعب العبريّ:

مزمور ١١٨: ١٢: «أَحَاطوا بِي مِثْلَ النحْلِ. انْطَفَأوا كَنَارِ الشَّوْكِ. بِاسْمِ الرَّبِّ أُبِيدُهُمْ».

في هذه الآيات استُخدمت الكلمة العبريّة «deb/ ora نحلة». والصورة الأكثر وضوحًا التي تؤكّد أنّ عبارة ديبورا تعني نحلة هي في الفصل الشهير من قصّة شمشون حيث اكتشف في جثّة الأسد قفيرًا من النحل والعسل:

قضاة ١٤: ٨: «وَلَمَّا رَجَعَ بَعْدَ أَيَّامٍ لِكَيْ يَأْخُذَهَا، مَالَ لِكَيْ يَرَى رِمَّةَ الأَسَدِ، وَإِذَا دَبْرٌ مِنَ النَّحْلِ فِي جَوْفِ الأَسَدِ مَعَ عَسَل».

يجب أن ننتظر القرن الثالث قبل الميلاد، حيث يُظهر كاتب سفر «يشوع بن سيراخ» تطوّرًا في الصورة، إذ يتكلّم على النحل بصورة إيجابيّة ويعتبر أنّ «النحل صغير في الطيور وجناه رأس كلّ حلاوة»[٢].

«Debora» اسم علم

استُعملت كلمة «Debora» كاسم علم منذ القديم:

دَبورة مُرضعة رفقة زوجة إسحق.

تكوين٣٥: ٨: «وماتت دَبورة مرضعة رفقة ودُفنت في بيت إيل تحت البلّوطة...»

دَبورة النبيّة التي قادت شعبها في حربه ضدّ الكنعانيّين. إنّها نبيّة وشاعرة وقائدة عسكريّة عظيمة وحتّى قاضية يلجأ إليها الشعب للحصول على المشورة القانونيّة وتسوية قضايا المحاكم.

قضاة٤: ٤: «ودَبورة إمرأة نبيّة... هي قاضية إسرائيل في ذلك الوقت».

Debora و Dabar

اسم «ديبورا» يعني «نحلة»، كما سبقت الإشارة، إلاّ أنّ عددًا كبيرًا من مفسّري الكتاب المقدّس ربطوا عبارة «ديبورا»[٣] بعبارة «دابار»[٤]، الكلمة العبريّة التي تعني «كلمة» أو «كلام»، إذ إنّ جذر كلمة «ديبورا» هو «دابار». فما يقوم به النحل من تلقيح للأزهار أمرٌ أساس للحياة، وهكذا كلمة اللّه. كلاهما إذًا «يعطيان» الحياة! هذا من جهة، ومن جهة أخرى يُنتج النحلُ العسلَ، الحلوَ الرئيس في الأيّام القديمة، ويعلن الكتاب أنّ كلام اللّه أشدّ حلاوة من العسل. ويتضمّن المدراش[٥] تعليمًا مفاده أنّ التوراة تُشبّه بالنحل في طرائق عدّة. منها مثلاً أنّه كما أنّ لدغة النحلة تؤلم بمرارة، إلاّ أنّ عسلها حلوٌ، هكذا التوراة تُمرمر أولئك الذين لا يتبعون طريقها، وتحلّي حياة تابعيها.

وبالنسبة إلى القدّيس جيروم كلمة «ديبورا» تعني نحلة أو متكلّمة. وباعتبار أنّ كلمة ديبورا تصغير لكلمة دابار،

٢- يشوع بن سيراخ ١١: ٣.

٣- هو اسمٌ مؤنّث.

٤-هو اسم مذكّر.

٥- «المدراش» اسم عبريّ من فعل«درش» أي «درس وبحث وفحص بدقّة»، وجمعُه هو «مدراشيم». هو مجموعة من الشروحات والتفاسير والتعليقات اليهوديّة للعهد القديم.

11-Nada wazen-3-2021.qxp_Layout 1 9/29/21 8:35 PM Page 153

فهمها الكتّاب اللاتين كـ«نحلة» أو «كُليمة» (كلمة صغيرة). ومع هذا الاقتراح تمّ إثراء تنوّع المعنى بشكل كبير:

فالقدّيس جيروم يقول أيضًا: «في سفر القضاة نقرأ عن «ديبورا» التي تعني«النحلة» التي نبوءتها أحلى عسل». هذا البعد المزدوج لاسم «ديبورا» أصبح شائع الاستخدام عبر الملاحظات التفسيريّة المستخدمة طوال العصور الوسطى: «ديبورا تعني نحلة أو كلام/نبوءة».

عند هذه النقطة يمكن للمفسّر أن يعتمد على تقليد آخر، موجود في الأدب النبويّ ذاته، يتحدّث عن النبوءة على أنّ لها حلاوة العسل، وكمثال على ذلك الدرج الذي أكله النبيّ حزقيال: «وَقَالَ لِي: «يَا ابْنَ آدَمَ، أَطْعِمْ بَطْنَكَ وَامْلأْ جَوْفَكَ مِنْ هذَا الدرْجِ الَّذِي أَنَا مُعْطِيكَهُ». فَأَكَلْتُهُ فَصَارَ فِي فَمِي كَالْعَسَلِ حَلاَوَةً»[٦].

مميّزات العسل

إذا كانت النصوص الكتابيّة لا تعطي أيّ أهمّيّة دينيّة للنحلة، إلّا أنّ ما تنتجه، أي العسل، مقدّرٌ جدًّا من اليهود القدماء. فالكتاب المقدّس يصف الأرض الموعودة بالأرض «التي تفيض اللبن والعسل». التعبير يرد أكثر من ١٥ مرّة في الكتاب المقدّس. والحديث عن «اللبن والعسل» هو حديثٌ عن خصوبة الأرض إذ كانت تُستعمل أحيانًا عبارتا «اللبن والعسل» وأحيانا أخرى عبارتا «الخمر والزيت». فالعسل يُعتبر إذًا رمزًا للوفرة ولعطايا اللّه للإنسانيّة. وقد وردت كلمة «debash» للحديث عن «عسل النحل» كما في قصّة شمشون الواردة في (قضاة١٤: ٨– ١٠).

من الآيات الواردة في الكتاب المقدّس يمكننا استنتاج الميزات التالية «العسل»:

أنّه طعام حلو ولذيذ كما ورد في: أمثال٢٤: ١٣: «يَا ابْنِي، كُلْ عَسَلاً لأَنَّهُ طَيِّبٌ، وَقَطْرَ الْعَسَلِ حُلْوٌ فِي حَنَكِكَ».

أنّه يشبه المنّ في الصحراء: خروج١٦: ٣١: «وَدَعَا بَيْتُ إِسْرَائِيلَ اسْمَهُ «مَنًّا». وَهُوَ كَبِزْرِ الْكُزْبَرَةِ، أَبْيَضُ، وَطَعْمُهُ كَرِقَاق بِعَسَل».

أنّه مُنتج قدّمه أبناء يعقوب كهديّة لشقيقهم يوسف: تكوين٤٣: ١١: «فَقَالَ لَهُمْ إِسْرَائِيلُ أَبُوهُمْ: «إِنْ كَانَ هكَذَا فَافْعَلُوا هذَا: خُذُوا مِنْ أَفْخَرِ جَنَى الأَرْضِ فِي أَوْعِيَتِكُمْ، وَأَنْزِلُوا لِلرَّجُلِ هَدِيَّةً. قَلِيلاً مِنَ الْبَلَسَانِ، وَقَلِيلاً مِنَ الْعَسَلِ...»

أنه يُصدّر نحو مرفأ صور: حزقيال٢٧: ١٧: في النبوءة على صور يورد: «يَهُوذَا وَأَرْضُ إِسْرَائِيلَ هُمْ تُجَّارُكِ. تَاجَرُوا فِي سُوقِكِ بِحِنْطَةِ مِنِّيتَ وَحَلاَوَى وَعَسَل وَزَيْتٍ وَبَلَسَان».

أنّه يُخزّن مثل الحبوب والزيت: إرميا ٤١: ٨: «يوجد لنا خزائن في الحقل، قمح وشعير وزيت وعسل».

أنّه ينير العينين: ١صموئيل١٤: ٢٧: «وَأَمَّا يُونَاثَانُ فَلَمْ يَسْمَعْ عِنْدَمَا اسْتَحْلَفَ أَبُوهُ الشَّعْبَ، فَمَدَّ طَرَفَ النُّشَابَةِ الَّتِي بِيَدِهِ وَغَمَسَهُ فِي قَطْرِ الْعَسَلِ وَرَدَّ يَدَهُ إِلَى فِيهِ فَاسْتَنَارَتْ عَيْنَاهُ»

أنّه يُستخدم في التشابيه، للتعبير عن معانٍ مختلفة:

– كلمات العريس: (نشيد الأناشيد ٥: ١): «قد دخلتُ جنّتي يا أختي العروس، قطفتُ مُرّي مع طيبي، أكلتُ شهدي مع عسلي ...».

– كلمات النُصح: (أمثال١٦: ٢٤): «الكلام الحسن شهد عسل، حلو للنفس وشفاء للعظام».

– كلمات الإغواء: (أمثال٥: ٣): «لأَنَّ شَفَتَيِ الْمَرْأَةِ الأَجْنَبِيَّةِ تَقْطُرَانِ عَسَلاً...».

٦– حزقيال ٣: ٣.

11-Nada wazen-3-2021.qxp_Layout 1 9/29/21 8:35 PM Page 154

– كلمات اللّه: (مزامير١١٩: ١٠٣): «ما أحلى قولَك لحنكي أحلى من العسل لفمي».

أنواع العسل:

ولكن ما هي بالضبط طبيعة هذه المادّة وما هو مصدرها؟ من المرجّح أنّ كلمة «debash» تعني مادّة حلوة بشكل عامّ، والمعنى لا يسمح بالتأكّد أنّه «عسل النحل» إلاّ في قصّة شمشون في قضاة ١٤: ٨– ٩. وقد يكون:

– من إنتاج النحل البرّيّ:

كان يتساقط من جذوع الأشجار التي يتّخذ النحل من شقوقها خلايا له: ١صموئيل١٤: ٢٥: «جاء كلّ الشّعب إلى الوعر وكان عسلٌ على وجه الحقل».

كان يوجد في شقوق الصخور: مزامير٨١: ١٦: «...وَمِنَ الصَّخْرَةِ كُنْتُ أُشْبِعُكَ عَسَلاً».

– من إنتاج النحل الذي يربّيه الإنسان:

٢أخبار الأيّام٣١: ٥: «وَلَمَّا شَاعَ الأَمْرُ كَثَّرَ بَنُو إِسْرَائِيلَ مِنْ أَوَائِلِ الْحِنْطَةِ وَالْمِسْطَارِ وَالزَّيْتِ وَالْعَسَلِ، وَمِنْ كُلِّ غَلَّةِ الْحَقْلِ...»

– من مصدر نباتيّ:

هذا اللغط قد يكون ناتجًا من استعمال كلمات مشابهة لكلمة «debash» العبريّة، كما كلمة «دبس» في اللغة العربيّة، المصنوع من عصير العنب أو البلح، كما في:

تكوين٤٣: ١١: «فَقَالَ لَهُمْ إِسْرَائِيلُ أَبُوهُمْ: «إِنْ كَانَ هكَذَا فَافْعَلُوا هذَا: خُذُوا مِنْ أَفْخَرِ جَنَى الأَرْضِ فِي أَوْعِيَتِكُمْ، وَأَنْزِلُوا لِلرَّجُلِ هَدِيَّةً. قَلِيلاً مِنَ الْبَلَسَانِ، وَقَلِيلاً مِنَ الْعَسَلِ...».

من المرجّح أنّه بالنسبة إلى العبرانيّين، كلمة «عسل» تعني «عسل النحل البرّيّ» أكثر منه «العسل النباتيّ».

العسل في الشريعة:

في النهاية نستطيع القول إنّ العهد القديم لم يضفِ هالة القدسيّة لا على النحل ولا على إنتاجه من العسل. حرّمت الشريعة تقديم العسل وقودًا للربّ، ولكن كان يمكن تقديمه قربان أوائل أو باكورة، (لاويين ٢: ١١– ١٢): «كُلُّ التَّقْدِمَاتِ الَّتِي تُقَرِّبُونَهَا لِلرَّبِّ لاَ تُصْطَنَعُ خَمِيرًا، لأَنَّ كُلَّ خَمِيرٍ، وَكُلَّ عَسَل لاَ تُوقِدُوا مِنْهُمَا وَقُودًا لِلرَّبِّ. قُرْبَانَ أَوَائِلَ تُقَرِّبُونَهُمَا لِلرَّبِّ، لكِنْ عَلَى الْمَذْبَحِ لاَ يَصْعَدَانِ لِرَائِحَةِ سُرُور».

٢– العهد الجديد

في العهد الجديد لا ترد عبارة «نحلة» ولكن عبارة «عسل» ترد ثلاث مرّات.

١– يوحنّا المعمدان كان يأكل العسل البرّيّ. وهكذا كان يعتمد على النحل من أجل غذائه في البرّيّة، حيث تنعدم مظاهر الحياة: "وَكَانَ يُوحَنَّا يَلْبَسُ وَبَرَ الإِبِلِ، وَمِنْطَقَةً مِنْ جِلْدٍ عَلَى حَقْوَيْهِ، وَيَأْكُلُ جَرَادًا وَعَسَلاً بَرِّيًّا"(مرقس١: ٦).

٢– بعد القيامة قدّم التلاميذ ليسوع سمكًا مشويًّا وشهد عسل: «فَنَاوَلُوهُ جُزْءًا مِنْ سَمَكٍ مَشْوِيٍّ، وَشَيْئًا مِنْ شَهْدِ عَسَل» (لوقا ٢٤: ٤٢). عبارة «شيئًا من شهد عسل» تغيب عن الكثير من المخطوطات. يقول القدّيس غريغوريوس النيصصيّ إنّ الشريعة فرضت أكل الفصح مع أعشابٍ مُرّة، لأنّ زمن المرارة كان ما يزال قائمًا، ولكن بعد القيامة تحوّلت هذه المرارة إلى حلاوة عُبّر عنها «بشهد عسل».

٣– في رؤيا يوحنّا، أعطى الملاك السّفرَ للقدّيس يوحنّا ليأكله، بصورة مماثلة لما حدث مع النبيّ حزقيال: «خذ هذا الكتاب وكُله. هو يملأ جوفك مرارة، ولكن في فمك يكون حلوًا كالعسل» (رؤيا يوحنّا ١٠: ٩).■

12-Paul NCKOULA-2-2021.qxp_Layout 1 9/29/21 8:36 PM Page 155

خاطرة

الشروق

الشمّاس
بول **(نقولا)**

الكلّ يلهف لمشاهدة جمال غروب الشمس، إن من على شاطئٍ أو من على شرفةٍ أو من على ارتفاع جبلٍ مطلٍّ ...، ليرتاحوا لمشهدٍ جميلٍ من هنا وآخر معبّر من هناك، وكلّ واحدٍ إنّما يقرأه من منظاره الخاصّ ويشعر به انطلاقًا من الحالة التي يعيش، فهذا يتمتّع بمنظرٍ أخّاذ، وذاك يتحسّر على يومٍ مضى لم يكن له.

قليلون هم الذين يبحثون عن شروقٍ، أبهى وأروع من أيّ غروبٍ مضى أو آتٍ ليمضي. شروق يحمل في طيّاته لا جمالاً فحسب إنّما معاني روحيّة جمّة، تسمو عليها البشارة بولادة يومٍ جديدٍ نجهل سرّه في الصباح عسى أن ندركه عند المغيب.

إنّ طلعتك يا شمس البقاع كطلعة عروسٍ يوم زفافها، وصفاءك يا شمس الجنوب ، كرنّات وديعٍ يعلي لبنان «قطعة سماءٍ»، ونورك يا شمس الشمال كلحن فيروزٍ ترندح دلعًا «شمسًا شمّوسةً». الدفء المنبعث منك كلمات صارخٍ للتوبة دعوةً في اقتراب الملكوت، وحرارتك نار روح خالقٍ يلهب العقل والقلب تمجيدًا، ووجهك ابتسامة أمٍّ تلتمس الخمر من يد وحيدها لكي تطيب الجلسة.

فأشرقي يا شمس أشرقي، ولا تأبهي لظلامٍ سيمّحي بحضورك، ولعيوب ليلٍ ستنكشف بوجودك، ولأسرار عشقٍ ستعلن في محكمتك.

فاستيقظي إذًا يا شمس استيقظي ولا تدعي نائمًا على الإطلاق،

أيقظي السماء والغيوم والضباب، أيقظي القمم والتلال والهضاب،

أيقظي البلابل والدواري والحساسين، أيقظي النحلة والزهرة والياسمين،

أيقظي الكسل تحت ألحفة الرقاد، أيقظي ضجيج الأحلام والسهاد،

أيقظي العسل في زهيرات الحقول، أيقظي الثلوج شلّالاتٍ للحقول،

أبشري يا شمس السماء والأرض أبشري، فهل من يعلم خفايا النهار،

أبشري برجاءٍ كاد الليل أن يخنقه، أبشري بالخير فسيادة الشيطان قد تربّعت في العقول، وظلمه قد تمدّد في القلوب.

ما سرّ جمالك يا فتاة؟ ما سرّ انتظام الأشياء حين تحضرين؟ ما سرّك كلّك؟ لماذا لا أستطيع النظر في

12-Paul NCKOULA-2-2021.qxp_Layout 1 9/29/21 8:36 PM Page 156

عينيك؟ لماذا لا أستطيع أن أرى وجهك؟ من أنت أصلاً؟ من أين أتيت وإلى أين تذهبين؟

قولي أنت كلمةً فأرتاح أنا، عرّفي عن نفسك فعندي الفضول أن أعرف سيرتك.

يا شمس يا من تدرّين مجانًا كلّ احتياجات الخليقة، طاوعيني ببقاءٍ أطول، طاوعيني برؤيةٍ أوضح لهمومٍ تختبئ خلف ظلام السكينة، طاوعيني بتحقيق أحلام اللاغفوة، طاوعيني بتوبةٍ عن مساوئ الأمس، فلا بدّ من أن يعود حين تذهبين، لا بدّ من أن يعود الليل كعودة ثعلبٍ ينتظر غياب نورك، ليعيد تاريخ الأمسيّات القاحلة، ويلبسني رداءه الأسود، وتسودّ معه كلّ الأشياء، الشجر والأزهار والحقول والأنهر، وحتّى العصافير كلّ الطبيعة وكلّ الأشياء تسودّ حين ترحلين، والأسوأ أنّ قلوب البشر أيضًا تسودّ والعقول والأذهان والأخلاق والمبادئ والقيم، كلّ شيءٍ سواد قاتم في غيابك.

في غيابك تحضر أشنع أنواع الفساد، السرقة والقتل والزنى والتجديف واللعنات، وتكشف الأقنعة، وتضمحلّ المحبّة ويسود البغض والنميمة والأنانيّة.

فلا تشتركي يا جميلة في جرائم الإنسان لا تشتركي، بل أشركيه في عطاءاتك، أشركيه في محبّتك، كمحبّة وحيدٍ بذل نفسه ذبيحةً حيّةً مقبولةً، أشركيه في اقتحام أكواخ الفقراء رحمةً، وطرقات الضالّين نورًا، وأجساد المشرّدين دفئًا.

علّميه كيف تعطين من ذاتك الصالح والطالح، علّميه أنّ لولاك لا ثمار ولا شجر ولا حقول ولا نفس حياةٍ.

ما أعظم سرّك يا شمس، سرّ مكشوف، معروف، ملموس، سرّك كسرٍّ معلنٍ منذ البدء، فأشرقي، هيمني، سيطري، سودي وتسلّطي،

كوني في النهار لكي يكون وفي الليل حتّى لا يكون،

كوني في الضجيج كوني في السكون،

كوني لمن للأرض يستوطنون،

فالشيوخ والكهلة والمراهقون، نحو الشرق بوجوههم يشخصون،

كوني للأطفال رسالة محبّة منك يتعلّمون،

كوني للرضّع رسالة سلامٍ لكي للمستقبل أجيال سلامٍ يشرقون.■

13-Hassan Bazi-2-2021.qxp_Layout 1 9/29/21 8:36 PM Page 157

خاطرة

«إنّي أمة الربّ...!!!» (لوقا ١: ٣٨)

حسن
بازي

بعد هذا الكمّ الهائل من النزاعات والخصومات والحروب والمشاكل لإنسان اليوم والعصر في غير بيئة وزمان ومكان، وبعد هذا الانفلات اللاأخلاقيّ والاجتماعيّ في غير مجتمع وبلد وموطن، يطلّ علينا جواب والدة الإله السيّدة العذراء يوم البشارة، ولدى جوابها الملاك جبرائيل قائلة «إنّي أمة الربّ، فليكن لي كما قلت» (لوقا ١: ٣٨) ليعطينا درسًا وقدوة في التعامل البشريّ والتواضع أمام صوت الربّ في حياتنا، والهدوء وأهمّيّته في جلب السلام والطمأنينة للإنسان الفرد وتاليًا للمجتمعات والأوطان، ولا ننسى فضيلة الإصغاء التي كادت أن تمحى عن خريطة التعامل الإنسانيّ والبشريّ العامّ والخاصّ. وأهم من كلّ ذلك الثقة باللّه الواحد الأحد القدير على كلّ شيء، وضرورة التسليم لمشيئته الربّانيّة الإلهيّة المقدّسة...

يصعب على البعض تطبيق بعض من هذه النصائح والقدوات، كما يصعب على البعض الآخر مجرّد التفكير بذلك كلّه، لما للانشغالات الدنيويّة الاستهلاكيّة النفعيّة من مقام أوّل في حياتهم.

لكنّ الكلمة الإلهيّة وكما علّمها السيّد المسيح تقع في تربات وأمكنة عدّة، يبقى للنعمة الإلهيّة الدور الفاعل في تحفيزنا على تلقّف الكلمة الإلهيّة تلك، والنصيحة الأبويّة عينها والسير بها حتّى النهاية. والأهمّ الاستعداد الداخليّ الشخصيّ للتواضع أمام عظمة الكلمة الإلهيّة والإصغاء إليها وأهمّيّته في تربية الأجيال والأمم سبل الخلاص من كلّ شرّ وفساد. أمّا للثقة باللّه عزّ وجلّ فله كامل المكانة في علاقة الإنسان بالعلويّات وانعكاسها على علاقته بالأفقيّات. والأهمّ الأهمّ التسليم للمشيئة الربّانيّة الإلهيّة المقدّسة التي لها الدور الكبير في بناء مجتمعات جديدة وخليقة جديدة وأوطان جديدة مفعمة بالقداسة والفضائل والمكارم.

ألا أعطنا ربّي حسن الإصغاء وخير التواضع وكمال التسليم للمشيئة الواحدة، لنبقى على صورة الخالق كمثاله، ونبقى خمرة معتّقة لمجتمع جديد وخليقة جديدة ونغدو عالمًا أكثر سلامًا وعافية وخلاصًا. آمين.■

14-Tony abdo-2-2021.qxp_Layout 1 9/29/21 8:37 PM Page 158

خاطرة

تسمية الطفل في المعموديّة

طوني عبده

يحتلّ الاسم في المسيحيّة بعامّة وفي الكنيسة الأرثوذكسيّة خصوصًا محلاً مهمًّا. إذ نجد له صدًى في الأسرار كافّة. ففي سرّ المعموديّة يقول الكاهن «يعمّد عبد اللَّه (فلان)». وهذا يتردّد أيضًا في المناولة الإلهيّة إذ يقول الكاهن «يناول عبد اللَّه (فلان)»، أيضًا «يمسح عبد اللَّه (فلان)» بالزيت المقدّس، كذلك «يعربن أو يكلّل عبد اللَّه (فلان)» في العربون والزواج. وتاليًا نجد أنّ هناك مركزيّة ما للاسم في الحياة الليتورجيّة الكنسيّة. لن نتطرّق في هذا المقال إلى الأبعاد اللاهوتيّة للتسمية المسيحيّة إذ تتعدّد دلالتها[1]، وهذا ما يمكننا لمسه عبر نصوص الخدم ذاتها، إنّما سنحاول عبر ترتيب الخدم، وبخاصّة عبر ما يعرف بخدم ما قبل المعموديّة (صلاة تسمية الطفل، والصلاة على الموعوظ)، الإضاءة على بعض النواحي المتعلّقة بالطقس، وتقديم وجهة نظر قد تفسّر هذه الممارسة (إعطاء اسم للطفل) التي أضحت متأصّلة ومرافقة لطقس المعموديّة.

بدءًا من الناحية اللاهوتيّة، والتي لن نتوسّع فيها، ولكن يجدر بنا لفت النظر إلى أنّ تغيير الاسم كان مرافقًا لبطاركة العهد القديم، الذين لم يتقيّدوا بعادات العبرانيّين (تسمية الحفيد على اسم جدّه) إنّما اللَّه هو من أعطاهم الاسم، بعد قطع العهد[2]. أيضًا في العهد الجديد تتغيّر تسمية التلاميذ بعد اتّباعهم المسيح[3]. ومع الكنيسة في القرون الأولى، وفي ظلّ الاستشهاد، ارتبط تغيير الاسم بالموعوظين الذين يتركون الاسم الوثنيّ ليتّخذوا لهم مثالاً في القداسة وشفيعًا. وبقي الوضع على ما هو عليه إلى القرن السادس، أي إلى حين دخول معموديّة الأطفال.

رافقت معموديّة الأطفال خدم عدّة سابقة لها أو لاحقة، كالصلاة على الطفل يوم ولادته وخدمة إعطاء الاسم في اليوم الثامن، وترتيب إدخال الطفل إلى الكنيسة في اليوم الأربعين، وقصّ شعر المعمود. أمّا ترتيب المعموديّة الذي نعرفه اليوم فيعود إلى القرن الثامن.

أمّا بخصوص ما نحن في صدد رصده، وهو محاولة إيجاد حلولٍ لكيفيّة تأصّل تغيير اسم المعتمد في ممارسة الطقس وذلك في ظلّ غياب نصٍّ في الخدمة ذاتها يكرّس هذه الممارسة. فالنصوص الليتورجيّة

١-التجدّد، خلع الإنسان العتيق، صورة موت المسيح وقيامته، الدخول في جسد الكنيسة.

٢- راجع (تكوين ١٧:٥، ١٥؛ ٣٢:٢٨).

٣- راجع (مرقس ٢:١٤؛ ٣:١٦؛ لوقا ٥:٢٧؛ أعمال الرسل ١٣:٩).

14-Tony abdo-2-2021.qxp_Layout 1 9/29/21 8:37 PM Page 159

تسمية الطفل في المعموديّة

طوني عبده

القديمة والمهمّة[٤]، ونصّ الأفخولوجي الذي بين أيدينا، باللغتين اليونانيّة والعربيّة والذي مايزال مستعملاً في أيّامنا هذه، لا يلحظ وجود طقس تسمية الطفل أثناء ترتيب خدمة المعموديّة.

من جهةٍ أخرى، تشير هذه المصادر إلى وجود خدمٍ أو صلواتٍ سابقة لخدمة المعموديّة[٥]، أبرز هذه الصلوات هي «صلاة لختم الطفل وتسميته في اليوم الثامن من ميلاده»[٦]. وضعت هذه الصلاة في مجمل العناصر التي تسبق المعموديّة، التي خلقت لكي تعلن عن الحاجات الجديدة التي ظهرت في مشاركة المسيحيّين منذ الولادة (أي معموديّة الأطفال).

لا أعرف إن كان هذا الإفشين أو ربّما هذه الخدمة حيويّة في عصرنا. عادةً، كما أعتقد، إن لم يسقطها الكاهن يقرأها بعد صلوات اليوم الأوّل، أو قبل صلوات الأربعين يوم دخول الهيكل خلال تقديس الطفل. الولد من اليوم الثامن، حسب تقليد إعطاء تسمية الربّ، يحضر اسمه وبه يعتمد بعد ذلك، كما أنّه بهذا السرّ يتناول أو يشترك في الأسرار الباقية. حسب اعتقادنا وربّما بسبب غياب هذه الممارسة التي كانت تسبق المعموديّة وسقوطها منذ زمنٍ ليس بقريبٍ انتقل ترتيب إعطاء الاسم ليرتبط بالمعموديّة.

في الترتيب الموضوع قبل المعموديّة المقدّسة، تدخل سلسلة صلواتٍ بحسب الاستعمال في الإفخولوجي لدينا، التي اليوم تقال بشكل مباشر قبل المعموديّة المقدّسة في الجزء الأسفل من الهيكل. الكاهن في البدء وخلال الصلاة التي تتبع الاستقسام الثالث ينفخ على وجه الطفل ويختمه راسمًا إشارة الصليب بيده ثلاث مرّات على جبينه، وفمه وصدره.

بعد النفخة الأولى والختم ثلاث مرّاتٍ على اسم الثالوث القدّوس، تتبع «صلاة على الموعوظ» (أيّها الربّ إله الحقّ. إنّي باسمك ...)، صلاة قديمة ورائعة تختصّ بتثبيت الاسم النهائيّ (أضع يدي على عبدك هذا (فلان) الذي استحقّ...)[٧].

٤- التقليد الرسوليّ-الذيذاخيّ- خولاجيّ سيرابيون-تعاليم الرسل الدسقوليّة-كتاب عهد الربّ-مدوّنات الرحّالة إيثيريا..وغيرها.

٥- صلاة على المرأة النفساء في يوم ولادتها، وصلاة على المرأة لمّا تطرح، وصلاة لختم الطفل وتسميته، وصلاة دخول الطفل إلى الكنيسة بعد أربعين يومًا...

٦- هذه الصلاة تتلى في اليوم الثامن من ميلاد الطفل، حيث كانت تأتي به القابلة (إذا كانت أرثوذكسيّة) إلى الكنيسة وتقف به في النرثكس أمام أبواب الكنيسة. فيتقدّم الكاهن لابسًا بطرشيله إلى حيث الطفل المحمول على ساعدي القابلة ويبتدئ قائلاً: «تبارك اللّه» و«قدّوس اللّه وما يتلوها». وبعد الإعلان لأنّ لك الملك «يقول طروباريّة اليوم أو طروباريّة القدّيس صاحب الكنيسة. ثمّ يختم الكاهن الطفل بشكل صليب على جبهته وعلى فمه وعلى صدره ويقول الإفشين المحدّد. ثمّ يتناول الطفل على يديه واقفًا أمام أبواب الكنيسة أو قدّام أيقونة السيّدة ويعمل به على صليب قائلاً طروباريّة دخول السيّد إلى الهيكل «إفرحي يا والدة الإله...» وبعدها يجري الختم.

14-Tony abdo-2-2021.qxp_Layout 1 9/29/21 8:37 PM Page 160

انطلاقًا ممّا تقدّم، أي غياب صلاة اليوم الثامن أو تسمية الطفل وارتباطها كممارسة بسرّ المعموديّة في يومنا هذا، نقترح وذلك من باب تكيّف الليتورجيا مع حياة الجماعة المسيحيّة وحاجاتهم إلى الخلاص والتقديس، أن يصار إلى دمج هاتين الخدمتين وجعلهما صلاةً واحدةً تأتي ضمن ترتيب صلوات ما قبل المعموديّة، وبشكلٍ خاصّ قبل الصلاة على الموعوظ. وذلك قد يتمّ بإدخال الإفشين الخاصّ بتسمية الطفل (أيّها الربّ إلهنا إليك نطلب وإيّاك نسأل...)[٨] أثناء ختم الكاهن للطفل بإشارة الصليب ثلاث مرّات على جبينه، فمه، وصدره. وهنا لا بدّ من الإشارة إلى أنّ كتاب الأفخولوجي يأتي على ذكر ترتيب الختم عينه في صلاة تسمية الطفل (ثمّ يختم الكاهن الطفل بشكل صليب على جبهته وعلى فمه وعلى صدره) وفي الصلاة على الموعوظ والتي تتمّ قبل المعموديّة. تاليًا لا بدّ من القيام بخطوةٍ تكون حلًّا لإشكاليّات ليتورجيّة. وما قمنا بعرضه سابقًا ليس سوى موضوع من بين مواضيع ليتورجية عدّة تحتاج إلى ضبطٍ من حيث الممارسة التبيكونيّة، وبخاصّة في كنيستنا الأنطاكيّة التي فيها دعي المسيحيّون أوّلًا. ■

٧- راجع الأفخولوجي الصغير، ص ٥٣.
٨- راجع الأفخولوجي الصغير، ص ٣٩.

15-Mikael Sasine-2-2021.qxp_Layout 1 9/29/21 8:40 PM Page 161

فَلْنَقف، وإلى الربّ فلنطلبْ: يا ربّ ارحم

ميكال ساسين

يتناول هذا المقال ضرورة الوقوف عند تلاوة «طلبة الكنيسة» (الطلبة السلاميّة الكبرى) التي هي من المقوّمات الأساسيّة لخدمة القدّاس الإلهيّ. وقد تضمّنها الوصف الأقدم للقدّاس الإلهيّ الذي أورده القدّيس يوستينوس في دفاعه الأوّل (١٥٠م).

الممارسة الرائجة في الكنيسة الأنطاكيّة

اعتدنا أن نقعد أثناء «الطلبة السلاميّة الكبرى». ففي القدّاس الإلهيّ، مثلاً، نقف عند ترنيم المجدلة الكبرى (المجد لك يا مظهر النّور) قبل بدء القدّاس الإلهيّ، ونبقى واقفين أثناء التبريكة الافتتاحيّة للقدّاس الإلهيّ (مباركة هي مملكة الآب والابن والروح القدس)، وبدلاً من أن نستمرّ بالوقوف أثناء «الطلبة السلاميّة الكبرى» اعتادت الغالبيّة الجلوس حتّى نهاية الطلبة؛ ويقفون بعد ذلك إمّا عند «بعد ذكرنا الكلّيّة القداسة»، أو عند الإعلان التمجيديّ «لأنّه لك ينبغي كلّ مجد»، وإمّا عند بدء ترنيم «بشفاعات والدة الإله». فما مدى صحّة هذه الممارسة؟

ماذا في التراث؟

الممارسة الأنطاكيّة الأقدم، كما توردها أقدم خدمة مفصّلة للقدّاس الإلهيّ (الكتاب الثامن من «النظم الرسوليّة» (٣٨٠م))، تقتضي تلاوة «طلبة الكنيسة» ونحن راكعون (كما في طلبات مساء أحد العنصرة).

وهذا جدول مقابلة بمطلع الطلبات وختامها (علمًا بأنّ الطلبات هي أكثر عددًا في «النظم الرسوليّة») وخاتمة الإفشين الذي يليها:

النصّ الحاليّ
بسلام، إلى الربّ نطلب: يا ربّ ارحم
من أجل سلام كلّ العالم وحُسن ثبات كنائس الله المقدّسة الكلّ، إلى الربّ نطلب: يا ربّ ارحم
أعضدْ وخلّصْ واحفظنا يا الله بنعمتك
بعد ذكرنا الكلّيّة القداسة ... مع جميع القدّيسين، فلنودِعْ ذواتنا وبعضنا بعضًا وكلّ حياتنا المسيحَ الإله.
(الإفشي): ... لأنّه لك ينبغي كلّ مجد وإكرام وسجود أيّها الآب والابن والرّوح القدس الآن وكلّ أوان...

15-Mikael Sasine-2-2021.qxp_Layout 1 9/29/21 8:40 PM Page 162

ففي «النظم الرسوليّة» نجد في المطلع دعوة للسجود (إحناء الرّكب)، وفي الختام دعوة إلى الوقوف باستقامة (وأنهضنا + فلنستقم).

هذه الممارسة الأنطاكيّة لم تكن عامّة وشاملة للكنائس كلّها. فهناك كنائس اعتمدت الوقوف أثناء تلاوة الطلبات، محافظة بذا على التراث المجمعيّ اليهوديّ (تسمية «عاموده» أي الوقوف العموديّ، هي إحدى تسميات الطلبات الموازية في التّراث اليهوديّ).

تنبّه آباء المجمع المسكونيّ الأوّل (٣٢٥م) إلى هذا الاختلاف، وقضى المجمع بمنع السجود في الآحاد وفي المرحلة الخمسينيّة بين الفصح والعنصرة:

«استحسن المجمع المقدّس، بعدما رأى أنّ البعض يركعون أيّام الآحاد وأيّام الخمسينيّة، ولكي يكون النظام موحّدًا، أن ترفع الصلوات للّه في الأيّام المذكورة، ونحن منتصبون وقوفًا». (القانون ٢٠)

أسقف أنطاكية محرّر «النظم الرسوليّة» هو مقاوم للمجمع المسكونيّ الأوّل (وهذا يُمكن ملاحظته من جدول المقابلة أعلاه حيث الحرص على توجيه الصلاة والتمجيد لله الآب وحده بواسطة يسوع ابنه ومسيحه، كما من مواضع عديدة من مؤلّفه). ولذا كان من الطبيعي ألّا يلتزم بتعليمات هذا المجمع، والاستمرار في العمل وفق التراث الأنطاكيّ القديم بالسجود أثناء الطلبات.

«النظم الرسوليّة»
الشمّاس: أيّها المؤمنون، فلْنَحْنِ ركبنا، ولْنُصَلِّ لله بمسيحه: الشعب: يا ربّ ارحم
لأجل السلام، وثبات العالم، ولأجل الكنائس المقدّسة، فلْنُصلِّ: يا ربّ ارحم
خلّصنا، وأنهضنا يا الله برحمتك.
فلنستقم، وإذ نحن نصلّي بعضنا لأجل بعض، فلنودِعْ حياتنا الله الحيّ بواسطة مسيحه.
أيّها الربّ الضابط الكلّ... يا من بمسيحه منحنا معرفة الكرازة .. فأنت، الآن، أنظر بواسطته إلى قطيعك هذا (...) وأهّلهم للحياة الأبديّة التي بمسيحك، ابنك الوحيد، إلهنا ومخلّصنا، الذي به يليق بك المجد في الروح القدس الآن وكلّ أوان ...

15-Mikael Sasine-2-2021.qxp_Layout 1 9/29/21 8:40 PM Page 163

فَلْنَقف، وإلى الربّ فلنطلبْ: يا ربّ ارحم

لولو صيبعة

المطلوب

ونحن اليوم، ونحن غافلون عن التراث القديم، أفتينا، بعد أن ملأنا كنائسنا مقاعد، بالجلوس أثناء «طلبة الكنيسة». وكأنّ الشمّاس يناديا: «فلنجلسْ، وبسلام إلى الربّ فلنطلب». ما نقوم به اليوم غير مقبول. فالمطلوب أن نتلو «طلبة الكنيسة» (الطلبة السلاميّة الكبرى) وقوفًا أيّام الآحاد والأعياد الكبرى وفي زمن البندكستاري (بين الفصح والعنصرة). ينبغي أن نلتزم الوقوف ولو جلس أمامنا الأسقف الذي لا يستطيع الوقوف لضعف جسده. ثمّ يُمكن لمن لا يستطيع أن يستمرّ بالوقوف أن يقعد أثناء ترنيم الأنتيفونات (أي الترنيمات المتناوب ترنيمها بين الجوقين: «بشفاعات والدة الإله»، «خلّصنا يا ابن اللَّه»،...) إذ لا ضير في الجلوس أثناء ترنيمها.

أمّا في الأيّام العاديّة فيُمكن تلاوة «طلبة الكنيسة»، في السحر والغروب وحتّى في القدّاس الإلهيّ، إمّا وقوفًا أو سجودًا؛ وإن كان الوقوف أَولى، ليكون «النظام موحّدًا» في سائر كنائس اللَّه.

إلى الربّ فلنطلب:

وأخيرًا ننوّه إلى ضرورة تصحيح الترجمة العربيّة واعتماد عبارة «إلى الرّبّ فلنطلبْ» بدلاً من «إلى الربّ نطلب» الشائعة. فالشمّاس يحثّ الشعب على طلب الرحمة الإلهيّة بتضرّعه «يا ربّ ارحم»، ليتحقّق القصد الذي ذكره.

خاتمة

«طلبة الكنيسة» كما رأينا هي مكوّن أساس من مكوّنات القدّاس الإلهيّ، ولئن انتقل موضعها في التراث الروميّ من بعد العظة إلى ما بعد الدخول (قبل ترنيم التريصاجيون: قدّوس اللَّه)، فإلى مطلع القدّاس الإلهيّ بعد الإعلان الافتتاحيّ بعدما اعتُبِرتْ الأنتيفونات كجزء من القدّاس الإلهيّ. ونجدها تحت أشكال متنوّعة في سائر الطقوس الشرقيّة. أمّا في التراث اللاتينيّ، فبعدما سقطت من الاستعمال في مرحلة ما، أعادها الإصلاح الليتورجيّ الأخير إلى مكانها في القدّاس الإلهيّ مسمّيًا إيّاها «الصلاة الجامعة».

ولكن لكي تعبّر هذه الصلاة عن حقيقتها كـ«صلاة الكنيسة» ينبغي أن يعاد ترنيم «يا ربّ ارحم» إلى شعب اللَّه كلّه، صادحًا به بصوت واحد بقيادة قائد الجوقة.

فلننقذ صلاة «يا ربّ ارحم» من استئثار الجوقات بها ولنُعِدْها إلى صاحبها شعب اللَّه كلّه.■

16-isdaratt-3-2021.qxp_layout2008 9/29/21 8:40 PM Page 164

تعاونيّة النور الأرثوذكسيّة للنشر والتوزيع م.م.

الأيقونة في الكنائس الشرقيّة هو الكتاب السابع والثلاثون في سلسلة «تعرف إلى كنيستك» التي تصدرها تعاونيّة النور.

كريستين شايو هي مؤلّفة هذا الكتاب الذي يقع في ١٩٠ صفحة، ونقلته إلى العربيّة غريس جان الدبس. صدرت الطبعة الأصليّة من هذا الكتاب باللغة الفرنسيّة العام ٢٠١٧ بعنوان: Rôle des images et veneration des icônes dans les Eglises Orthodoxes Orientales وترجم إلى لغات عدّة. وأنجزت مطبعة الينبوع الطباعة في حزيران ٢٠٢١.

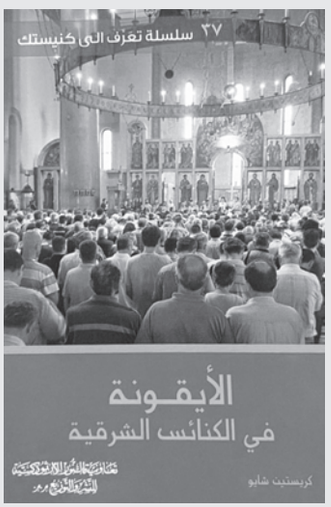

يتألّف الكتاب من: مقدّمة سيباستيان بروك، مقدّمة المطران أيّوب، مقدّمة المثلّث الرحمة المطران دمسكينوس، إضافة إلى:

الوثائق التي صادقت عليها هيئة الحوار اللاهوتيّ الرسميّ المشتركة بين الكنيسة الأرثوذكسيّة والكنائس الأرثوذكسيّة الشرقيّة، والبيانات المشتركة: شامبيزي ٢٣-٢٨ أيلول ١٩٩٠، ودير الأنبا بيشوي (مصر) ٢٠-٢٤ حزيران ١٩٨٩.

المدخل،

الفصل الأوّل: الصور والأيقونات في الكنيسة السريانيّة الأرثوذكسيّة الأنطاكيّة.

الفصل الثاني: لمحة تاريخيّة عن استخدام الصور والأيقونات في الكنيسة الأرمنيّة.

الفصل الثالث: الأيقونات القبطيّة.

الفصل الرابع: استخدام الأيقونات وتكريمها في الكنيسة الإثيوبيّة.

صلوات تكريس الأيقونات/الصور في الكنائس الأرثوذكسيّة الشرقيّة.

الصلاة السريانيّة.

الصلاة الأرمنيّة.

الصلاة القبطيّة.

الصلاة الإثيوبيّة.

الخلاصة والملحق.

وممّا جاء في مقدّمة دكتور بروك: «في القرنين الثامن والتاسع ميلاديّ، عاشت الكنيسة الأرثوذكسيّة فترتين منفصلتين تميّزتا بتحطيم الأيقونات iconoclasm كانت الدولة البيزنطيّة قد فرضتهما عليها آنذاك؛ فبمجرد استعادة حقّ تكريم الأيقونات أخيرًا العام ٨٤٣ م، ازداد تكريس الأيقونات بشكلٍ كبيرٍ كردّ فعلٍ، وأصبحت الأيقونات اليوم علامة-هويّة للكنيسة الأرثوذكسيّة بنظر العالم غير الأرثوذكسيّ. بما أنّ الكنائس الأرثوذكسيّة الشرقيّة لم تتعرض بتاتًا لتجربة تحطيم الأيقونات المؤلمة، فلم تمتلك سببًا لتولي الأيقونات أيّ أهمّيّة أو تركيز خاصّ؛ وأدّى ذلك إلى إعطاء وجهة نظر خاطئة لبعض المراقبين الخارجيّين تظهر أنّ هذه الكنائس كانت في الواقع معادية لتكريم الأيقونات واستخدام صور المسيح وقدّيسيه. لدحض هذا المفهوم الخاطئ، أصدرت كريستين شايو بطريقة مفيدة النصّ الأصليّ باللغة الفرنسيّة الذي استمدّت منه الترجمة الحاليّة».■

17-news-3-2021.qxp_layout2008 9/29/21 8:41 PM Page 165

روسيا

دير القدّيس ألكسندر نفسكي

يعرض في مذخرة دير القدّيس ألكسندر نفسكي، في مدينة سانت بيترسبورغ، رفات خمسة عشر قدّيسًا أرثوذكسيًّا، وذلك لمناسبة الاحتفال بالذكرى الثمانئة لولادة القدّيس الدوق ألكسندر. ففي كنيسة القدّيس ثيوذور علّقت أيقونات القدّيسين وفيها بعض من ذخائرهم، ويمكن للمؤمنين التبرّك بهذه الأيقونات. وهؤلاء القدّيسون هم: الشهيدة ماريّا غاتشينا، الشهيد يوحنّا كوشوروف، القدّيس سيرافيم ساروفسكي، القدّيس مكسيموس اليونانيّ، القدّيسة كاترينا، الرسول فيليبّس، القدّيس جاورجيوس حامل راية الظفر، الشهيدة أنستاسيا، القدّيس ألكسيوس متروبوليت موسكو، الشهيد بلاسيوس، الشهيدة الدوقة إليزابيت والقدّيسة بربارة، القدّيس تدّاوس أسقف تفير، القدّيس إشعياء أسقف روستوف، الرسول برثلماوس والمغبوط يوحنّا من فالعام.

والجدير بالذكر أنّ هذه الأيقونات والذخائر معروفة عند المؤمنين وزوّار الدير، في كاتدرائيّة الثالوث القدّوس وفي الكنائس الأخرى في الدير. وفي المستقبل سيتمّ تزويد الدير بأيقونات وذخائر جديدة.

بويرتوريكو

كنيسة سيّدة البشارة

خلال شهر آب جرت في جزيرة بويرتوريكو أحداث عدّة متعلّقة بمستقبل الأرثوذكسيّة في هذه البقعة من البحر الكاريبيّ. ومن هذه الأحداث وصول أيقونة والدة الإله العجائبيّة وتكريس الصليب والأرض التي ستبنى عليها كنيسة سيّدة بشارة والدة الإله.

وفي التفاصيل أنّ الأسقف نيقولاوس من مانهاتن وصل إلى الجزيرة، واستقبله رئيس الإرساليّة الأب غريغوريو يوستينيانو، وأقيمت صلاة الغروب ومديح والدة الإله. وفي اليوم التالي استقبل الأسقف نيقولاوس على باب الكنيسة بالخبز والملح التقليديّين، وبمعاونة عدد من الكهنة احتفل سيادته بالذبيحة الإلهيّة باللغات الإسبانيّة والإنكليزيّة والسلافونيّة. وشارك في القدّاس الإلهيّ حجّاج وزوّار وأبناء الرعيّة. بعد ذلك كان زيّاح وصل إلى أرض الكنيسة الجديدة المخصّصة لبشارة السيّدة حيث بارك الأسقف نيقولاوس الصليب الذي بناه أبناء الرعيّة. كما قدّم مهندس مشروع الكنيسة عرضًا مفصّلاً عن مخطّط الكنيسة.

ومن جهة ثانية شرح الأب غريغوريو تاريخ الكنيسة الأرثوذكسيّة في الجزيرة فقال: «أوّل ذبيحة إلهيّة في بلدة سان جرمان كانت في التاسع من آب ٢٠٠٩. ومنذ ذلك الحين تقوم إرساليّة القدّيس يوحنّا السلّميّ بعملها بعون اللّه في أرجاء الجزيرة. ونحن نأمل أن نحضّر قادة للمستقبل من مترجمين وقادة جوقات ومعلّمي تعليم مسيحيّ

17-news-3-2021.qxp_layout2008 9/29/21 8:41 PM Page 166

وكهنة محلّيّين. كنيسة الإرساليّة صغيرة ونحن نصلّي فيها منذ اثنتي عشرة سنة، والكنيسة الجديدة ستكون الأولى في بورتوريكو. الشعب هنا لا يعرف الكنيسة الأرثوذكسيّة، ولهذا طلبت إلى الأسقف نيقولاوس أن يزورنا هنا وينقل إلينا إيمان الرسل».

الولايات المتّحدة الأميركيّة

كنيسة القدّيس نيقولاوس

كنيسة القدّيس نيقولاوس الأرثوذكسيّة، في نيويورك، التي

تدمّرت في هجوم الحادي عشر من أيلول ٢٠٠١، الذي ضرب برجي التجارة، تعود قريبًا بحلّة جديدة. وفي ليلة الذكرى أضيئت القبّة بألف لمبة.

بلغت تكلفة إعادة بناء الكنيسة مئة مليون دولار، وهي من تصميم المهندس المعماريّ الإسبانيّ سانتياغو كالاترافا، وقد استوحى التصميم من كاتدرائيّة آيا صوفيا في إسطنبول. وستخدم الكنيسة المؤمنين في الرعيّة وستكون هناك غرفة خاصّة مسكونيّة للصلاة من أجل ضحايا التفجير.

استمرّت أعمال البناء متقطّعة بسبب النقص في التمويل، ومؤخّرًا بارك رئيس الأساقفة إليذوفورس هذه الأعمال حتّى تنتهي قبل الذكرى العشرين. وأُنجز البناء بفضل حملة تبرّعات جمعت خلال ثلاثة أشهر ٤٥ مليون دولار، ومن بين المتبرّعين المليونير جون كاتسيماتيدس.

بنيت كنيسة القدّيس نيقولاوس، شفيع البحّارة، في العام ١٩١٦، وابتدأت بالخدمة في العام ١٩٢٢. وكانت نقطة التقاء المهاجرين اليونان الذين وصلوا إلى نيويورك في مطلع القرن العشرين.

17-news-3-2021.qxp_layout2008 9/29/21 8:41 PM Page 167

العراق

انتخاب بطريرك جديد للكنيسة الآشوريّة

بتاريخ ٨ أيلول ٢٠٢١ في دار البطريركيّة الآشوريّة في أربيل (عاصمة إقليم كوردستان العراق) انتخب نيافة الأسقف، مار آوا روئيل، أسقف غرب أميركا، ليكون البطريرك الـ ١٢٢ للكنيسة الآشوريّة، وذلك خلال دورة خاصّة للمجمع المقدّس لكنيسة المشرق الآشوريّة. هذا بعد أن أعلن سلفه مار كيوركيس الثالث صليوا عن قراره بالتنحّي عن السدّة البطريركيّة لأسباب صحّيّة.

وتمّت رسامة البطريرك الجديد يوم الاثنين، الثالث عشر من أيلول، في كاتدرائيّة القدّيس يوحنّا المعمدان في أربيل. ولد البطريرك الجديد مار آوا (ديفيد روئيل) في ٤ حزيران ١٩٧٥ في شيكاغو لعائلة من المهاجرين الآشوريّين. رسم شمّاسًا في العام ١٩٩٢ بوضع يد قداسة البطريرك مار دنخا الرابع خننيا.

حصل ديفيد روئيل على درجة البكالوريوس من جامعة لويولا في شيكاغو في العام ١٩٩٧ وحاز درجة البكالوريوس الثانية في اللاهوت من جامعة سانت ماري في العام ١٩٩٩ وذلك في الولايات المتحدة الأميركيّة. وحصل لاحقًا على الرخصة والدكتوراه في اللاهوت من الجامعة البابويّة الشرقيّة في روما.

في العام ٢٠٠٦ رُسِم ديفيد روئيل في منصب كور بيشوب (وهذا ما يساوي درجة متقدّم في الكهنة في الكنيسة الأرثوذكسيّة)، وفي العام ٢٠٠٨ في كاتدرائيّة سان خوسيه رُسم كرئيسٍ للشمامسة. لاحقًا في ٣٠ تشرين الثاني من العام ٢٠٠٨، رُقّي ديفيد روئيل إلى رتبة أسقف، واتّخذ اسم مار آوا روئيل.

اعتبارًا من العام ٢٠١٥ شغل مار آوا منصب سكرتير المجمع المقدّس لكنيسة المشرق الآشوريّة، بالإضافة إلى كونه رئيسًا للجنة العلاقات الكنسيّة وتطوير التعليم في كنيسة المشرق الآشوريّة، ومنذ العام ٢٠١٦ أصبح رئيسًا مشتركًا للجنة الحوار بين الكنيسة الأرثوذكسيّة الروسيّة وكنيسة المشرق الآشوريّة.

تركيا

كنيسة الثالوث القدّوس

كنيسة الثالوث القدّوس الأرمنيّة، والمعروفة باسم «سورب يروتوتيون» والواقعة في محافظة مالاتيا شرق تركيا، فتحت أبوابها من جديد أمام المؤمنين، بعد إقفال دام مئة وستّ سنوات، إذ أقيمت آخر خدمة فيه العام ١٩١٥. هذه الكنيسة تابعة لبطريركيّة القسطنطينيّة الأرمنيّة، وقد شارك في الافتتاح بطريرك القسطنطينيّة الأرمنيّ ساهاك ماشالايان وعدد من المطارنة ومحافظ مالاتيا صلاح الدين غوركان وحشد من المؤمنين.

وألقى البطريرك كلمة للمناسبة قال فيها إنّ افتتاح هذه الكنيسة اليوم يشكّل علامة فارقة في تاريخ المنطقة.

شيّدت هذه الكنيسة في العام

17-news-3-2021.qxp_layout2008 9/29/21 8:41 PM Page 168

١٨٩٣ ولكنّ البناء تداعى على مرّ السنين، وقد التزمت جمعيّة هايدر في مالاتيا القيام بأعمال الترميم كافّة.

إيطاليا

معموديّة أكثر من مئة ألف طفل

تحتضن دولة إيطاليا أكبر جالية رومانيّة أرثوذكسيّة، وأوّل رعيّة رومانيّة نشأت فيها كانت في العام ١٩٤٠. وانتظرت الأبرشيّة حتّى العام ٢٠٠٨ لانتخاب راعٍ لها هو المطران سلوان (سبان). وفي الذكرى الثالثة عشرة لانتخاب المطران سلوان، قام الأسقف المساعد أثناسيوس بجولة سريعة على نشاط هذه الأبرشيّة جاءت على الشكل التالي: هناك ٢٩٢ رعيّة، خمسة أديرة، و١٣٢ إرساليّة. كما نالت ١٧٠٠٠ عائلة سرّ الزواج الأرثوذكسيّ، ومئة ألف طفل تلقّوا سرّ المعموديّة. ويضيف الأسقف أنّ آلاف الأرثوذكس الرومانيّين والإيطاليّين يجدون في الأديرة الرومانيّة التعزية والفرح والشجاعة على مواجهة مصاعب هذه الحياة في صحراء هذا العالم.

أوكرانيا

احتفال بذكرى معموديّة الروس

لمناسبة الذكرى ١٠٣٣ لمعموديّة الروس وتذكار القدّيس الأمير فلاديمير بتاريخ ٢٧ تمّوز في عشيّة العيد، خرج في كييف زيّاح كبير بعد الصلاة في «فلاديميرسكايا غوركا» ترأسه إلى دير لافرا كييف (لرقاد السيّدة) غبطة المتروبوليت أونوفريوس متروبوليت كييف وسائر أوكرانيا، مع ممثّلي الكنائس الأرثوذكسيّة وجميع الإكليروس من الكنيسة الأرثوذكسيّة الأوكرانيّة وأقيمت صلاة الغروب والسحر.

حُملت ذخائر القدّيس الأمير فلاديمير في الزيّاح مع أيقونات عجائبيّة لوالدة الإله جُلبت إلى كييف من جميع أنحاء أوكرانيا. ورفع غبطة المتروبوليت أونوفريوس مع جميع المشاركين عند الصليب في شارع «غروشيفسكي» الصلاة عن راحة نفوس قتلى أحداث شباط ٢٠١٤ المأساويّة ووضع باقة من الورد. كما قرعت الأجراس في روسيا وأوكرانيا وبيلاروسيا وكازاخستان ومولدوفا وأذربيجان، لمدّة خمس عشرة دقيقة، وهذا تقليد يعود إلى زمن